المشكلة الجزئية الرابعة : التنوع الثقافي والعولمة
DIVERSITE CULTURELLE ET MONDIALISATION

تصميم الدرس

أمثلة :

الملاحظات :

اســتــنــتــاج

تطبيقات :

سؤال التقويم الذاتي :

جواب سؤال التقويم الذاتي

تدرب أيها الدارس

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أمثلة :

الثقافة	العولمة	المشكلة	التبرير
تعدد الثقافات.	ثقافة واحدة موحدة.	حوار الثقافات أو صراع الثقافات.	الغرب بقيادة أمريكا، يريد فرض ثقافته، وبقية الأمم تقبل حوار الثقافات، وترفض زوال ثقافاتها الخاصة.
الخصوصيات الثقافية.	ثقافة واحدة لجميع الأمم.	رفض الآخر، وعدم الاعتراف بخصوصيته الثقافية.	يجب الاندماج في ثقافة واحدة، هي ثقافة الغرب، وأمريكا خاصة، والتخلي عن الثقافات المحلية نهائيا.
الهوية الثقافية.	هناك هوية واحدة، هي الهوية الثقافية الغربية والأمريكية بصفة خاصة.	تهديد العولمة لوجود الهوية الثقافية الخاصة للأمم والشعوب.	لا غنى لجميع الأمم والشعوب عن التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أنجزه الغرب،فهو الجانب المشترك بين الثقافات.والمشكلة الحقيقية ، هي كيفية استيعاب الثقافات غير الغربية لهذا التقدم،دون فقدان خصوصياتها أو هوياتها الخاصة،ودون الخضوع للهيمنة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الثقافة الإنسانية	الثقافة الغربية والأمريكية خاصة وقيمها وأنماط سلوكها، هي الوحيدة المسموح لها بالبقاء.	كل الأمم توافق على الثقافة الإنسانية، لكن أمريكا تريد هيمنة ثقافتها فقط، أو الثقافة الغربية الخاضعة لها. بحيث تكون المرجعية في الثقافة وفي غيرها واحدة.	القيم الإنسانية و أنماط السلوك الإنساني مقبولة، و مرغوب فيها لدى جميع الأمم والشعوب، إلا أن الغرب بزعامة أمريكا يريد هيمنة ثقافته، و فرضها على كل الشعوب و الأمم بكل الوسائل، و منها القوة.
الثقافة هي أساس الهوية الوطنية للمجتمع.	هناك مجتمع دولي واحد، أساس هويته الثقافة الغربية المنضوية تحت لواء الثقافة الأمريكية.	العالمية أساسها حوار الثقافات ، أما العولمة فتقوم على تصادم الثقافات،بهدف هيمنة ثقافة الغرب عامة وأمريكا خاصة.	العالمية هدفها إنساني، أما العولمة فهدفها الهيمنة و السيطرة، والقضاء على خصوصيات الآخرين الثقافية و غيرها، و هي تعني في النهاية الأمركة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تعدد الثقافات وتلاقحها وتبادل التأثير و التطوير بينها.	اختراق ثقافة الآخر، فالعولمة الثقافية هي عبارة عن آلية متطورة، تعمل على تكريس منظومة القيم الغربية– الأمريكية، بعد تفتيت و تمزيق القيم الثقافية المحلية، و إحلال القيم الاستهلاكية محلها.	وقوف العولمة في وجه أية محاولة للنهضة و التطور انطلاقا من الخصوصية الاجتماعية و الثقافية، و الدخول في صراع معها لإجهاضها و القضاء عليها بكل الوسائل.	معالم العولمة لم تتحدد بعد بصفة نهائية، لكنها تمثل أداة هدم و تأثير و هيمنة للثقافات و الحضارات و المجتمعات الأخرى، غير المجتمعات الغربية و الأمريكية منها خاصة، و تستعمل كل الوسائل و أهمها الإعلام لتغيير أو تخريب المجتمعات الأخرى من الداخل، بالتركيز على الأسرة و المدرسة خاصة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثقافة عالمية أو كونية.	السعي إلى إجبار العالم إلى الانضمام إلى ثقافة واحدة، هي الثقافة الغربية، و الأمريكية منها خاصة، باستعمال كل الوسائل و منها القهر أحيانا.	محاولات التغريب و الأمركة عن طريق الهيمنة و القوة الغاشمة، مما يؤدي حتما إلى الصراع المدمر بين الغرب و بقية الشعوب و المجتمعات.	يمكن قيام ثقافة عالمية كونية على أساس إنساني سليم، هو التعاون و التبادل و التلاقح، و حتى التنافس الشريف، و تبادل التأثير الإيجابي. أما الهيمنة و الغطرسة و احتقار الآخر، و إعلان الحرب على خصوصياته الثقافية و الاجتماعية فهي طبعة جديدة من الاستعمار، ذات همجية أكبر و أشرس، و مآلها الفشل و الاندثار، و لو بعد كوارث رهيبة، و دمار لا نظير له في تاريخ البشر.

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

حتمية التعاون و التحاور بين الثقافات من أجل الرقي و الازدهار و الكرامة لكل البشر في العالم.	حتمية الصراع بين الثقافات و الحضارات، و خاصة منها الثقافة والحضارة الغربية المسيحية بزعامة أمريكا، و الحضارة العربية الإسلامية التي تمثل عقبة في سبيل العولمة و الأمركة، و من ثم وجب القضاء عليها.	الصراع بكل الوسائل من أجل تعميم النموذج الثقافي الغربي– الأمريكي، و السيطرة على العالم سيطرة تامة في جميع المجالات، و خاصة منها السياسة و الاقتصاد. و الغاية هنا تبرر كل الوسائل.	لا شك أن المستقبل لحوار الثقافات والحضارات، و لو بعد دفع ثمن باهظ. إن صراع الحضارات الذي يرفع لواءه الغرب بزعامة أمريكا، قد فشلفي الحروب الصليبية، و بعدها الحروب الاستعمارية، و سيفشل هذه المرة في صيغة العولمة المتوحشة، لأنه همجي و لا أساس له من الإنسانية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الإقرار بالتعدد الثقافي يؤدي حتما إلى الحوار والتعاون والتبادل والازدهار العالمي الشامل.	أساس العولمة بل الحضارة الغربية هو الصراع بكل أنواعه وأشكاله، ومنه الصراع بين الإسلام والغرب في الثقافة، وبصورة شاملة ومصيرية.	التصادم من وجهة نظر العولمة والغرب لا مفر منه، بين كل الحضارات، التي هي جميعا مستهدفة من الغرب الذي يريد محوها من الوجود، وفي المقام الأول الحضارة الإسلامية.	يؤمن الغرب بزعامة أمريكا بالصراع الحضاري كحتمية تاريخية لا محيد عنها، وهذا في إطار البقاء للأقوى، وإلغاء الآخر، وتأتي الأمة الإسلامية في المقدمة لكونها تثير مخاوف الغرب في إمكان توحدها، وقيامها كقوى كبرى مناهضة للغرب، فتكون إذا توحدت أكثر خطرا من الصين والهند وروسيا، وغيرها من الأمم المبرمجة بالتدريج للقضاء عليها، على قاعدة الأولوية للأخطر والأضعف حاليا، أو الأسهل.
التحديث ضروري لجميع الثقافات وإيجابي يضمن التطوير والاستمرار.	التغريب اتجاه سلبي، يقوم على أسس عدوانية وعنصرية، ولا إنسانية، ويهدف إلى القضاء على الثقافات والحضارات غير الغربية.	التحديث بناء والتغريب هدام. والمشكلة قائمة في إمكان الفصل بين التحديث والتغريب أو كيف يمكن الجمع بين التحديث والنجاة من التغريب.	الغرب لا يسمح بالتحديث للأفراد والشعوب دون تغريبها، بل إنه يسعى إلى العكس، يريد لها أن تكون مغربة في سلوكها ونمط معيشتها، حتى تكون مستهلكة لمنتجاته دون أن تكون مكتسبة للحداثة، أي عاجزة عن منافسته في الإنتاج.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الملاحظات :

1ــ العولمة: لأهمية هذا الموضوع، وضرورة الإلمام به، خاصة من أجل فهم علاقته بالتنوع الثقافي المترتب عن تنوع المجتمعات، ينبغي التوقف عنده لفهم حقيقته قدر الإمكان، ومنذ البداية، ينبغي القول إن تعريف هذا المصطلح لم يتحدد بعد، ولا زال محل أخذ ورد ومحاولات للوقوف على عناصره ومكوناته، وبالتالي ضبط مفهومه بدقة.

2ــ ما هي العولمة؟ هذا السؤال لم يجد جوابه النهائي بعد، بالرغم من أن الممارسات التطبيقية، بدأت بالفعل على أرض الواقع، ومنها ما هو خطير للغاية، مثل الحروب المدمرة التي تتعرض لها شعوب عديدة في العالم الإسلامي خاصة. ومنها ما لا يقل خطورة عن الحروب المسلحة، وهذا مثل الاحتكارات الاقتصادية والتجارية، التي تقوم على نهب خيرات الشعوب، وتعريضها لمآسي الجوع والفقر والحياة القاسية التعيسة. ولعل هذه المظاهر من أسباب غموض مفهوم العولمة، فروادها الغربيون بزعامة أمريكا لا يريدون التصريح بتعريف دقيق لها، إما لأن هذا التعريف لم يتبلور بعد لديهم، أو لأنهم يقصدون إخفاءه حتى لا يتعرض للرفض القاطع، والمقاومة الشرسة من الشعوب غير الغربية، أو من ضحاياه، ولعل الأصح هو الأمران معا: عدم التبلور النهائي لمفهوم العولمة، والقصد إلى إخفائه في ذات الوقت. إن التساؤل قائم عن حقيقة العولمة، هل هي نظام جديد للحياة لا مفر منه أم هي مجرد نزوة عابرة سرعان ما تختفي؟ وهل العولمة ظاهرة تاريخية سوف تنمو باستمرار

http://www.eferd.edu.sa

حتما، أم هي مجرد عاصفة عابرة مصيرها الزوال السريع؟ و هناك كذلك تساؤلات قلقة عن نتائج العولمة، هل هي ظاهرة صحية أم مرضية؟ و هل هي حركة استعمارية أم تحريرية؟ و هل العولمة داعمة للاستقلال ، أم هي مؤدية للخضوع و التبعية؟ و من ثم فهل المطلوب من الشعوب غير الغربية الانخراط فيها أو رفضها؟ و هل سوف تحتوي العولمة هذه الشعوب، أم أن هذه الشعوب هي التي سوف تحتوي العولمة
و تكيفها لصالحها؟ هل أن العولمة ستضاعف تأخر الشعوب النامية، غير الغربية أم أنها طريق موصل إلى تقدمها، كما يدعي روادها الغربيون ؟

3- **تعريف العولمة لم يتحدد بعد،** و نتائجها المحتملة لا زالت محل تكهنات و افتراضات، و هناك من الكتاب و المفكرين الغربيين أنفسهم، من ينظر إليها نظرة متفائلة، و على العكس هناك منهم من ينظر إليها نظرة متشائمة، و حتى أولئك الذين يعتبرون العولمة ظاهرة إيجابية، فإنهم لا يستطيعون إشاعة الاطمئنان بدرجة كافية. فصاحب كتاب "العولمة السعيدة" مثلا، ذهب إلى أن يقدم العولمة على أنها ليست خيرا أو شرا في ذاتها، و لا داعي للإفراط في وصفها بالوحشية ، أو الفتك و الرعب، و نشر الأجواء المفزعة حولها. و لهذا فإن البشر في حاجة إلى تكوين وعي عالمي يتميز بخاصية الاتصال و التواصل على كل الأصعدة و المستويات، من أجل مواجهة كل المخاطر و التحديات التي يتأثر بها العالم كله، و ذلك مثل: ظاهرة العولمة و مشكلات البيئة و التلوث، و الاحتباس الحراري، و قضايا الصحة و السكان و الفقر و المجاعة و نقص الغذاء و التلوث و المياه. و في سياق القول الذي يذهب إلى أن

العولمة ضرورة لا مفر منها، و التصدي لمخاطرها على سكان الجنوب، أو العالم الثالث، لا يكون عن طريق رفضها لأن ذلك ليس ممكنا، و ليس هو الحل الناجع لمشكلة التخلف، و إنما ينبغي مواجهة العولمة بالانخراط فيها إيجابيا، أي عن طريق السعي إلى التحكم في ابتكار الشعوب المتخلفة لمستقبلها في عالم متغير، بل سريع التغير.

أما البلدان الغربية الأخرى في غرب أوروبا بالإضافة إلى اليابان، فإنها تسير في ركب العولمة على أساس تقاسم المصالح و المنافع مع أمريكا، ساعية في ذات الوقت إلى بناء القوة الذاتية، كما هو الأمر بالنسبة للإتحاد الأوروبي، من أجل الانفصال عن الهيمنة الأمريكية، و الاستقلال بنفسها، لتكون – على الأقل – شريكا كامل الحقوق يتحالف مع أمريكا، و يتنافس معها على النفوذ والهيمنة على ما أمكن من مناطق العالم الأخرى بحثا عن الثروات الطبيعية،واحتلالا للنقاط الإستراتيجية الحساسة فوق الأرض.

يرى هذا الاتجاه المتفائل أن المشكلة مع الغرب، أي مشكلة البلدان المتخلفة معه، تتمثل في كون الغرب قد حول مشروعه في التقدم، ليشمل تكريس التبعية و وضع آليات السيطرة على العالم، و بهذا يتعين على بلدان العالم الثالث أن تبني مواجهتها الحقيقية للعولمة على أساس ترشيد النمو وإنجاحه، و من ثم إقامة مشروعات التقدم و التطور الحضاري.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

4- العولمة في نظر المعارضين أو المتشائمين :

ــ من هؤلاء من يرى أن العولمة هي الحاجز الذي يعترض التحول الرأسمالي العميق لكل العالم في ظل هيمنة الغرب و بقيادته، و في ظل سيادة نظام عالمي مجحف للتبادل.

ــ و منهم من يرى أن العولمة هي ما بعد الاستعمار، و هي عبارة عن آلية من آليات التطور الرأسمالي، أساسها إرادة السيطرة على العالم.

ــ ترتكز العولمة على النفع المادي، و الجشع الاقتصادي،و احتكار الثروات، و رفع القيود عن الأسواق و البضائع، و امتصاص الأموال، و هذه كلها هي أسباب التحريض على النزاع و الصراع و الصدام.

ــ و من هؤلاء من يرى أن العولمة تقوم على أساس اقتصادي، هدفها الربح و المنافع المادية. أما الميادين الأخرى مثل الثقافة و التربية و الاجتماع
و الإعلام، إنما هي موظفة لنفس الغاية الاقتصادية النفعية.

ــ هناك من هؤلاء المتشائمين من يترك الباب مفتوحا للتعامل مع العولمة إيجابيا، دون الخضوع لها، و الذوبان التام في الحضارة الغربية، و الوقوع
- بالتالي - في الفناء الحضاري، أو ربما الاختفاء من الوجود نهائيا كأمة متميزة، أو مجتمع مستقل له خصوصياته المتميزة.

ــ يرى البعض من هؤلاء أن سبب الخوف على الهويات الثقافية لمجتمعات العالم الثالث من اكتساح العولمة الغربية لها و فرض اتجاهها الوحيد عليها، هو الضعف الذي توجد عليه هويات البلدان المتخلفة و

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثقافتها، و لذا فهي مطالبة بضرورة التجديد الذاتي لأسس مجتمعاتها و ثقافاتها، حتى تتمكن من اكتساب المناعة و الحماية و الأمان.

ـ بسبب كل هذه المخاوف و التهديدات و المخاطر، و إرادة الهيمنة لدى الغرب على مقدرات العالم لفائدته، بدأ البعض يضع تصورات للعولمة المقبولة لكونها إيجابية، و مؤدية للمنفعة العامة لكل الشعوب و الأمم، و هم في الواقع يذهبون إلى إحلال " العالمية " محل " العولمة "، و هي رغبة مثالية و أحلام وردية، لا يمكن قبولها من قبل الغرب قي ظروف جموحه الراهنة – على الأقل –.

العولمة السياسية :

العولمة مفهوم اقتصادي بالدرجة الأولى، وسياسي بالدرجة الثانية، ثم بعد ذلك يشمل بالتدريج وبالتبعية لهذين البعدين الأساسيين كل الظواهر الحضارية والاجتماعية والثقافية وغيرها من ميادين الحياة وظواهر الكون. وقد ظهر هذا المفهوم بشكل بارز في تسعينات القرن العشرين الماضي. أما جذوره فهي ضاربة في التاريخ البشري، منذ أن بدأت المجتمعات البشرية تتواصل فيما بينها إيجابا وسلبا. لذلك هناك من يتحدث عن ظهور بدايات العولمة بهذا المعنى الأخير، منذ عشرات القرون، وذلك في حركات التجارة، كما كان الأمر عند الفينيقيين، وفي العلاقات المتنوعة، كما كان الأمر لدى الفراعنة مع الكثير من شعوب البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، وأيضا في الحروب والغزوات التي قام بها الرومان والفرس خاصة، ثم الفتوحات الإسلامية، التي كادت تغطي مجمل قارات العالم القديم الثلاث، آسيا وإفريقيا وأوروبا. وما أتى بعد

ذلك من الحروب الصليبية، ثم الاستعمارية، والحربان العالميتان الأولى والثانية، وحروب التحرير التي خاضتها الشعوب التي خضعت للاستعمار البغيض، وها هي حروب العولمة تبدأ من جديد في أكثر من بلد إسلامي، وتتصدى لها الشعوب التي ابتليت بها بالمقاومة العنيدة، والتي نتابعها في أيامنا هذه باهتمام كبير وقلق متزايد، متسائلين عن المصير الذي سوف تؤول إليه. هل تنجح العولمة في حروبها النيوكولونيالية (أي الاستعمارية المجددة) الجديدة، وتكسر إرادة الشعوب المستضعفة، ويسود الاستعمار الجديد؟ أم تنتصر إرادة الشعوب المقاومة، وتجد طريقا آخر مستقلا لنموها وتطورها؟ أو تنجح في تحويل العولمة الطاغية إلى حركة عالمية، يتعاون فيها الجميع، ويتبادلون بحرية وعدالة في جميع المجالات، وتتحول الهيمنة بعد فشلها الذريع إلى علاقات متكافئة وعادلة وإنسانية، يتعاون فيها الجميع، ويتبادلون فيما بينهم في كل المجالات الاقتصادية والثقافية والحضارية والاجتماعية، وغيرها، ولا بأس أن يمارسوا التنافس الشريف، ويتخذوا منه حافزا مؤثرا في اتجاه التسابق الإبداعي نحو المزيد من الرقي والتطور، الذي يفيد الجميع، لأنه يرتكز على قاعدة إنسانية راسخة؟

عندما ظهرت العولمة بالمفهوم السائد حاليا، منذ أواخر القرن الماضي،

تطورت بشكل ملفت للنظر، وتحولت في لمح البصر إلى قوة هائلة، من أبرز القوى المؤثرة في الحياة المعاصرة، وقد ساعدها في هذا التطور الأسطوري، انهيار الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى، كانت تضمن التوازن

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

العالمي، وما تبع ذلك من تفكك المنظومة المتكونة من الدول الدائرة في فلك الاتحاد السوفياتي، وأحزابها الشيوعية في أوروبا الشرقية، لقد حدث ذلك بسرعة، تشبه سرعة البرق، حيث انتهت الحرب الباردة، وانهار جدار برلين، وانتصرت الرأسمالية المتوحشة، وبرز قطب وحيد، يريد ابتلاع العالم أجمع، هو الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلن العولمة، وهو في الواقع يقصد الأمركة، أي أنه هو المتحكم ــ بعد الآن ــ في كل شيء، وهو الحاكم الوحيد للعالم، الذي لا ينازع ولا يناقش، فمنه الأمر، ومن بقية الشعوب والدول الطاعة، وحتى المكانة التي يتركها للحلفاء الغربيين، ليست إلا مكانة مرحلية، ومنذ اللحظة، فهو الحاكم الوحيد، وعلى باقي الغربيين، هم كذلك، أن يطيعوا، ويتحصلوا ــ في الوقت الراهن ــ على بعض الفوائد، التي قد تزول في يوم من الأيام، إذا استطاع القطب الأمريكي الأوحد، أن يرسخ وجوده بهذه الصفة، واستتبت الأمور له نهائيا. إلا أن الأمور لم تستقر لحد الآن، فأوروبا الغربية واليابان، تسعى إلى إثبات وجودها كشريك، كامل الحقوق، وليس مجرد تابع، يحصل على بعض الفوائد مقابل التعاون والطاعة. وذات الأمر، وبصورة أوضح بالنسبة إلى روسيا والصين، وحتى الهند، وغيرها من القوى الناشئة، والمتطورة بصورة مذهلة هي الأخرى. أما الشعوب المستضعفة، شعوب العالم الثالث، التي يبدو أن العولمة لم تحسب لها أي حساب، ما عدا كونها ميدانا للاستغلال التام، و منها تلك التي اعتبرت عدوة، رغم خضوع الكثير من دولها لأمريكا و الغرب، و لمنطق العولمة كما هي الآن، و لم تحاول الدفاع عن مصالح شعوبها أدنى دفاع، و هذا

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مثل الكثير من دول العالم الإسلامي التي أعلنت أمريكا و الغرب من ورائها عداوتها الصريحة لها، و بدأت في احتلال أراضي بعضها، و واضح أن عزم أمريكا و الغرب هو احتلال تلك البلدان. غير أن الرياح لا تجري – فيما يبدو – بما تشتهي سفن الاستعمار الجديد، حيث تتأجج المقاومة في كل مكان ترسو فيه، و يبدو أن هذه المقاومة قادرة على تسديد الضربات القاتلة للقوى الاستعمارية الجديدة الغازية للبلدان بقصد الاحتلال و نهب الثروات و منع الشعوب من التمتع بخيرات أوطانها، و تشييد نهضتها الحديثة، و الانضمام إلى ركب التطور المعاصر في إطار العالمية العادلة النزيهة، أو العولمة الصحيحة التي تراعي مصلحة الجميع، و ليست العولمة الاستعمارية هذه التي يركب موجتها الغرب بزعامة أمريكا لإعادة احتلال العالم كله.

و إذن فإن العولمة بهذا المعنى هي إيديولوجيا، تعبر عن إرادة الهيمنة على العالم و أمركته، فالعولمة بالنسبة للأمريكان تعني الأمركة و ليس أي شيء آخر، و هم لا يخفون هذا الفهم لها. و قد حددت وسائلها في هذه الهيمنة و الأمركة، و يتمثل ذلك خاصة في استعمال السوق العالمية، للإخلال بتوازن الدول و نظمها و برامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية، و منح الأولوية للإعلام، لإحداث التغييرات المطلوبة محليا في كل بلد و عالميا.

لقد استخدمت أمريكا وسائل للهيمنة على العالم، أهمها : " العولمة وسيادة الدولة" و "العولمة وظاهرة الهيمنة" و "العولمة و الهوية الثقافية والحضارية".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

و العولمة في أهم معانيها هي نمط سياسي اقتصادي اجتماعي غربي متطور، خرج من حدوده الجغرافية للهيمنة على الآخر، على غيره من الأوطان و الشعوب و المجتمعات غير الغربية، و خاصة منها بلدان العالم الثالث، و أصبح هذا النموذج الحضاري الغربي الساعي إلى الهيمنة، يشكل خطرا سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا على البلدان المتخلفة خاصة، و تتمثل المخاطر السياسية في محاولات الولايات المتحدة "أمركة العالم"، و الاستفراد بتسييره تسييرا أحاديا، بما يخدم مصالحها و أهدافها، و هو الأمر الذي يقتضي إنشاء تكتلات إقليمية لبلدان العالم الثالث على أساس استراتيجيات كفيلة بمواجهة تحديات العولمة و أخطارها الجسيمة.

5- أسس العولمة و منطلقاتها :

أصدر "فرانسيس فوكوياما" عام 1989 كتابه الشهير "نهاية التاريخ" و هو عبارة عن إيديولوجية العالم الجديدة بعد الحرب الباردة، أو هو إيديولوجية الولايات المتحدة الأمريكية، و التي تعلن فيها انتصارها النهائي والحاسم على المعسكر الشيوعي، و سيادتها الأبدية للعالم، و نهاية التاريخ تعني أن التطور البشري قد بلغ ذروته في النموذج الحضاري الأمريكي، و لذلك يحق له أن يقود العالم، و يؤسس الحكومة العالمية التي تدير العالم، و تقوده كما تشاء، وإلى حيث تشاء، لأنه لا يوجد منافس لها، و لا أحد يحق له معارضتها، فهي القوة الوحيدة التي تتصرف في العالم، و قد صنعت أهليتها لذلك، و أسست له وفقا لمشروعية التطور الهائل الذي تنفرد به في العالم.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

و قد وجه النقد إلى هذه الإيديولوجية، التي تعني خطأ في نظر "فوكوياما"، أنها هي في جوهرها الرأسمالية الأمريكية المتوحشة، التي سوف تصبح هي ديانة البشرية النهائية، و إلى الأبد. لقد وجه النقد لفوكوياما الأمريكي المنحدر من أصول يابانية، و المنبهر بانتصار الرأسمالية الغربية و خاصة منها الأمريكية على الإتحاد السوفياتي، الذي انهار مع منظومته المتكونة من دول أوروبا الشرقية بأحزابها الشيوعية، وعزز انبهار "فوكوياما"، فضلا عن ذلك، التطور الهائل في مجالات التكنولوجيا، و خاصة مظاهرها المتعلقة بالاتصال، و المعلوماتية و الرقمنة، الأمر الذي جعل العالم يضيق إلى درجة أنه أصبح معروفا باسم " القرية الكونية الصغيرة "، هذه القرية التي بإمكان أمريكا أن تشدد عليها قبضتها، و تديرها وفقا لمصالحها

و ذوقها. هذه النظرة أو الإيديولوجية يوجه إليها الانتقاد على أساس أنها وعي زائف بالعالم المتعدد الحضارات، و بالإنسان الذي لم و لن يتوقف تطوره بهذه المحطة الأمريكية من التاريخ، و الدليل على ذلك أن "فوكوياما" تراجع مؤخرا عن قناعاته السابقة عندما رأى النتائج المروعة لعسكرة العولمة و الجرائم التي ترتكبها الإدارة الأمريكية على أيدي حكامها من المحافظين الجدد المتطرفين في حق الإنسان، حينما بدأوا يطبقون الإيديولوجية الجديدة في إخضاع البلدان عن طريق تدميرها، كما حدث في العراق و غيرها، و يوشك أن يحدث في بلدان أخرى تتعرض للتهديد حاليا. لقد فاق الدمار والخراب والإبادة في أفغانستان والعراق بكثير ذلك الذي استحقت النازية من أجله المحاكمة، لذلك لم يقف

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

"فوكوياما" مترددا أو متجاهلا لما يحدث، بل أصدر كتابا جديد في عامنا هذا "2006"، ينتقد فيه نفسه بشجاعة مثيرة للإعجاب، تحت عنوان "أمريكا في مفترق الطرق"، ساحبا بذلك غطاءه الإيديولوجي للجرائم البشعة التي يقترفها المحافظون الجدد في حق الإنسانية، تحت شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان، و صرح "فوكوياما" معلنا انشقاقه عن المحافظين الجدد باعتباره رمزا سياسيا، وكيانا إيديولوجيا، معتبرا أن الأمر قد تطور إلى شيء ، يقول "فوكوياما": " لا أستطيع تأييده بعد الآن". فهل تكون هذه هي بداية النهاية لكابوس العولمة كما هي في مفهوم المحافظين الجدد؟

من الأسس الفكرية والإيديولوجية التي قامت عليها العولمة الراهنة كذلك كتاب اليهودي الأمريكي " صامويل هانتنغتون" عام1993، الذي أعلن فيه دخول السياسة العالمية مرحلة جديدة، بطبيعة الحال بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته الشيوعية، ونتيجة التطورات الاقتصادية والتكنولوجية الحاصلة في أمريكا والغرب عموما. هذه الظروف الجديدة تقتضي في رأي "هانتنغتون"، ضرورة تصادم الحضارات، إذ سوف تتكتل المجموعات البشرية حول الثقافات، بعد انهيار التكتل الإيديولوجي، ويتمحور الصراع في المستقبل إذن حول الثقافات، مما يحتم تصادمها، وسوف يكون هذا هو الأساس الجديد للسياسة العالمية. فالحضارات غير الغربية، لا بد أن تصطدم بالغرب، مما يعني استمرار الحرب الباردة وتوسيعها بوسائل جديدة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إلى جانب هذين الكتابين، ظهرت كتب أخرى لمفكرين أمريكيين كبار تسير في نفس الاتجاه، ويركز كل منها على عامل معين، مثل السياسة والاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا والسلاح، والمعلوماتية والرقمنة، وكلها مجتمعة تؤسس إيديولوجية العولمة، التي تنتهجها إدارة المحافظين الجدد.

من نتائج العولمة، التي لا تقبل النقاش في نظر أمريكا والغرب، هي أنه إذا كانت الدولة القومية، قد حلت منذ خمسة قرون محل الإقطاعية، فإن الشركات المتعددة الجنسية، والعابرة للقارات، تحل اليوم في إطار العولمة، محل الدولة، والسبب في الحالتين واحد، هو التقدم التقني وزيادة الإنتاجية، وبالتالي الحاجة إلى أسواق أوسع، فلم تعد حدود الدولة القومية هي حدود السوق الجديدة، بل أصبح العالم كله هو مجال التسويق، ولإرساء حدود أو لا حدود السوق الجديد، أخذت هذه الشركات تنشر أفكارا جديدة، هي عبارة عن أسس إيديولوجية العولمة، التي تسعى إلى تحطيم الولاء القديم للوطن والأمة، وإحلال مبادئها محله، من قبيل: " نهاية الإيديولوجيا" و" نهاية التاريخ"

و " القرية العالمية" و " الاعتماد المتبادل"، إلى آخر ذلك من الأطروحات المؤسسة لإيديولوجية العولمة، التي ترى قيادتها الأمريكية وجوب اعتناق جميع الدول والمجتمعات لها، مستعينة في انتشارها وترسيخها وإنجاز أهدافها بالمؤسسات المالية الدولية وأجهزة المخابرات في الدول الغربية ومختلف وسائل التأثير في الرأي العام.وبهذا أدخلت تطورات العولمة مختلف بلدان العالم في تفاعلات ومواجهات، لم تعرفها من قبل، بسبب إلغائها المستمر لحدود المكان والزمان، فهي تهدد الجغرافيا، وحدود

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الدولة السياسية، وكل مظاهر السيادة الوطنية، والأمن بمعانيه السياسية والعسكرية. وينتج عن هذا:

ــ الاتجاه إلى إلغاء سيادة الدولة، وصلاحياتها المترتبة على ذلك، و التي كانت تمارسها على شعبها وأرضها وثرواتها الطبيعية. فالدولة الوطنية هي نقيض العولمة، هذه العولمة التي تعني انكماش العالم، وإلغاء الحدود، ودمج الاقتصادات والثقافات والمجتمعات والأفراد في وضع يتجاوز الدول، ويتخطى سيطرتها التقليدية على مجالها الجغرافي الوطني. إن الدول التي كانت مركزا لكل النشاطات والتشريعات والقرارات، تصبح ضمن العولمة مجرد وحدات ضمن شبكة من العلاقات والوحدات الكثيرة في عالم يزداد انكماشا وترابطا.

ــ ترتبط العولمة السياسية ببروز مجموعة من القوى العالمية والإقليمية والمحلية الجديدة، خلال عقد التسعينات من القرن العشرين، والتي صارت تنافس الدول في المجال السياسي، ومن أبرز هذه القوى: التكتلات التجارية الإقليمية، مثل السوق الأوروبية المشتركة، التي شكلت وحدة نقدية، تعمل من خلال البنك المركزي الأوروبي، الذي أنشئ عام 1999، ليتولى شؤون عملة اليورو. هذا النموذج الاندماجي الأوروبي، يرتكز على تخلي الدول الأوروبية الطوعي عن بعض مظاهر سيادتها لفائدة كيان إقليمي، يتجه نحو الوحدة الاقتصادية، وهي تسعى إلى الوحدة السياسية المؤسسة للولايات المتحدة الأوروبية، التي تكون لها سياسة خارجية ودفاعية واحدة، فتصبح بذلك قوى منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، ومتحررة تماما من هيمنتها.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ـــ في المجال الاقتصادي، نشأت المؤسسات المالية والتجارية والاقتصادية العالمية، ومن أبرزها منظمة التجارة العالمية المؤسسة عام 1996 ، بهدف الإشراف العالمي الكامل على التجارة العالمية، كما أن صندوق النقد الدولي، يشرف على النظام المالي العالمي. كما أصبحت هذه المؤسسات العالمية، من القوة، بحيث تفرض قراراتها وتوجيهاتها على كل دول العالم. وإلى جانب هذه المؤسسات هناك الشركات العابرة للحدود والقارات، وقد شكلت وفقا لتحالفات بين الشركات الصناعية والمالية و الخدماتية العملاقة في كل من أمريكا وأوروبا واليابان. هذه الشركات تسعى إلى إعادة رسم الخارطة الاقتصادية العالمية، وزيادة سيطرتها في المستقبل.

ـــ في المجال الاجتماعي، نشأت ضمن العولمة، المنظمات المدنية غير الحكومية، على الساحة السياسية العالمية، مشكلة قوى فاعلة ومؤثرة. وفي مقدمة هذه المنظمات غير الحكومية نجد منظمات البيئة مثل " منظمة السلام – الخضر"، ومنظمات حقوق الإنسان مثل " منظمة العفو الدولية" والمنظمات النسائية مثل منظمة " أخوات حول العالم" . هذه المنظمات أخذت تعمل باستقلال تام عن الدول التي صارت عاجزة عن التحكم في نشاطها لأنها عابرة للحدود، وعابرة للقارات.

ـــ ترمي هذه التطورات المرتبطة بنشأة الهيئات العالمية و تطورها ، في سياق العولمة، إلى نشأة الحكم العالمي وإقرار نفوذه. وفي هذا الميدان تكون أهم الهيئات المساهمة في هذه الشبكة العالمية المؤسسة للحكم أو الحكومة العالمية، هي على الخصوص المؤسسات العالمية المترابطة،

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

المتكونة من الدول، والمنظمات غير الحكومية، و الشركات العابرة للقارات، و الهيئات الدولية، مثل الأمم المتحدة، و التي تمثل كلها، أي هذه المؤسسات، مرحلة مؤقتة نحو تأسيس الحكومة العالمية الواحدة، التي هي الهدف النهائي للعولمة السياسية.

ـ ترمي العولمة إلى إيجاد عالم لا دولة فيه و لا وطن و لا أمة، إنه عالم المؤسسات والهيئات العالمية، الذي يرتكز على استخدام الفضاء والمعلوماتية، التي تجعل من شبكات الاتصال وطنا يسيطر على السياسة والاقتصاد والثقافة ويوجهها. وفي هذا الإطار فإنه لا يسمح لأية نهضة قطرية أن تزدهر، و هذا هو سبب احتلال العراق، و هو سبب التهديد الذي تتعرض له إيران حاليا

و كل البلدان التي تحاول النهوض، بحيث لا يسمح لها بذلك، لأن أية نهضة محلية تتعارض مع مصالح أمريكا و الغرب.

و السبيل الوحيد لمقاومة هذه المحاولات هو التكتل الإقليمي على غرار ما فعلت أوروبا، فبإمكان هذه التكتلات أن تنجو من منع نهضتها، و بإمكانها أن تقيم علاقات تبادل مع الغرب، متجاوزة بذلك حدود الهيمنة المدمرة.

ـ تسعى العولمة إلى "رسملة" البلدان التي لم تكن رأسمالية، و هذه العملية لا تعني أبدا تحويل هذه البلدان إلى بلدان رأسمالية. إن العولمة تهدف إلى تعميم علاقات الإنتاج الرأسمالي، لكنها لا تهتم بتحويل البلدان الأخرى، و خاصة منها البلدان المتخلفة، إلى بلدان رأسمالية، أي أنها لا تسعى إلى تقدمها، و لو بالطريقة الرأسمالية. فهي لا تتجه إلى تحويلها إلى بلدان رأسمالية، و لكن تصر على تحويلها إلى نظم تابعة للرأسمالية، و واقعة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تحت الهيمنة الغربية، و بالتالي خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية كل الخضوع.

ـ في المجال الثقافي و الحضاري، تسعى العولمة إلى التجزئة أو التفتيت السياسي و الجغرافي للمجتمعات المحلية، و تتجاوز ذلك إلى المجالات الفكرية و الثقافية و الروحية. فالعولمة تهدف إلى هيمنة حضارة معينة هي حضارة أمريكا و الغرب، و هي حضارة ذات ثقافة ينبغي أن تهيمن، وفي محاولة منها لتضليل بقية الأمم و الشعوب، ذات الحضارات و الثقافات

و المغايرة، تدعي أنها ثقافة عالمية و إنسانية. و بهذا يتحول العالم من الصراع الإيديولوجي إلى الاختراق الثقافي.

ـ كان الصراع الإيديولوجي يهدف إلى التشكيل الإيديولوجي، أما الاختراق الثقافي، فإنه يهدف إلى السيطرة على الإدراك ذاته، عن طريق الصورة السمعية و البصرية الساعية إلى تسطيح الوعي لدى الشعوب المستهدفة. إن إيديولوجية الاختراق الثقافي تقوم على نشر و ترسيخ أوهام، هي ذاتها مكونات الثقافة الإعلامية في أمريكا، كما عبر عنها مفكرون أمريكيون أنفسهم، و التي حصروها في أوهام خمسة : وهم الفردية، وهم الخيار الشخصي، وهم الحياد، وهم الطبيعة البشرية الثابتة، وهم غياب الصراع الاجتماعي.

غير أننا إذا تأملنا الواقع الموضوعي، وجدنا الإعلام باعتباره مكونا ثقافيا هاما، يشكل بوسائل هيمنة أحادية لبلدان محددة هي أمريكا و الغرب، التي تهيمن على عالم الثقافة و الإعلام عن طريق مواد و

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تجهيزات الصناعة التقليدية، مثل الحبر و الورق، و آلات الطباعة ، و آلات التصوير. ثم عن طريق مواد و تجهيزات الاتصال الحديثة. و كذلك تجهيزات الحاسوب

والمعلوماتية وغزو الفضاء و بنوك المعلومات والمكتبات والمرجعيات الثقافية. كما يسيطر الغرب على معظم مراكز البحث الإعلامي والأقمار الصناعية. ونتيجة لهذا كله، يشكل الغرب صورة العالم بالطريقة التي يراها مناسبة لتصوراته و مصالحه.

ـ تستعمل أمريكا العقوبات الاقتصادية و الحصار، سواء تحت شعار الأمم المتحدة شكليا، أو بدونها، كما كان الأمر في العراق و ليبيا، و ذلك تحت ذرائع مختلفة و زائفة. فالهدف الحقيقي واحد دائما هو بسط الهيمنة،وتكريس النفوذ، و إخضاع مجمل بلدان العالم للهيمنة الأمريكية، بما في ذلك حلفائها الغربيين، الذين ينتسبون إلى نفس الحضارة، و الذين يحافظون على بعض المنافع و المصالح في إطار العولمة، لحد الآن، لكنهم مهددون بفقدانها إن هم لم يستطيعوا بناء كتلهم الجهوية، أو الإقليمية الخاصة بهم و تطويرها (الاتحاد الأوروبي مثلا)، إلى الدرجة التي تستطيع فيها كبح جماح الهيمنة الأمريكية، و إجبارها على عدم تجاوز حدودها.

ـ إن دول العالم الثالث مدعوة للانخراط في الحداثة و العولمـــة، حيـــث أصبحت ضرورة ، لا مهرب منها، لكن عليهـــا أن تقـــاوم الخضـــوع و الهيمنة،

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

و إهدار مصالح شعوبها، و العمل بكل الوسائل لتكييف العولمة، لتصبح عالمية تتنافس فيها الأمم و الشعوب في كل المجالات الحضارية والثقافية سلميا، في ظل التعدد الثقافي و الحضاري المشروع و الطبيعي، وبعيدا عن الهيمنة و الإخضاع والاستغلال والنهب و الإذلال، ولن تستطيع الدول المتخلفة الضعيفة تحويل العولمة إلى العالمية، إلا إذا اختارت الانخراط في الحداثة، بكل تصميم وعزم،و سارت في طريق التقدم العلمي والتكنولوجي، بأقصى ما يمكن من سرعة، و قبل هذا و ذاك، لا بد لها من إقامة التكتلات الجهوية و الإقليمية الجديدة و الفعالة، و القادرة على الوقوف في وجه الاختراق الغربي، مقدمة في سبيل ذلك كل التضحيات المطلوبة، و دون هذا يكون مصيرها البؤس و الحرمان و الشقاء، و التهميش المؤدي حتما إلى الزوال و الاندثار، على غرار ما وقع للهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليون.

هناك من حاول تلخيص مفهوم العولمة و تداعياتها في مصفوفة رباعية (2 x 2) ، يمكن حصرها في جدول كالآتي:

الابتكار التكنولوجي و ثورة المعلومات و الاتصالات. **(الانتشار الالكتروني)**	سيطرة الفلسفة الليبرالية الجديدة، واقتصاد السوق الحر ،والسعي إلى التنميط الاقتصادي والثقافي و السياسي. **(التنميط)**
تقليص سيادة الدول و تهميشها، و تذويب الفوارق الثقافية، وإزالة الحدود بين الدول. **(اقتلاع الجذور)**	ردود فعل المدافعين عن الهوية الثقافية الخاصة للشعوب و الأمم. **(العولمة المضادة)**

6 ــ العولمة والهوية الثقافية :

لكل أمة روحها و حقيقتها، و غالبا ما يكون الصراع بشأنها شرسا،
و تكون التضحية عالية، فالهوية الثقافية بما تمثله من لغة و دين و عادات و تقاليد و أنماط سلوك، وغيرها من الخصائص هي قضية حياة أو موت بالنسبة لأية أمة، ولا يكفي معها إدعاء أمريكا و الغرب نفاقا و إيهاما بأن الثقافة الغربية ليست خاصة ، وإنما هي بحكم تطورها و رقيها تمثل الثقافة العالمية و الإنسانية. إنه تحايل لا يمكن أن ينطلي على أحد، وسوف يكون الصراع طاحنا في هذه النقطة بالذات، و قد يكون هو الصخرة التي تتحطم حولها العولمة بمعناها الأمريكي الغربي الاستعماري، لتتحول إلى عالمية تفسح المجال أمام كل الثقافات و الحضارات للتنافس الشريف لفائدة ازدهار الإنسانية جمعاء.

في مطلع التسعينات من القرن الماضي، وبمناسبة انهيار الاتحاد السوفياتي و منظومته الاشتراكية، ظهر القطب الواحد، بتربع أمريكا على عرش العالم، ظهرت عبارة العولمة، و أصبحت الشغل الشاغل لجميع الناس، و هي ظاهرة تهدف أساسا إلى أمركة العالم أجمع، أي جعله خاضعا للهيمنة الأمريكية، أو لحكمها، من أجل مصالح أمريكا و إلى حد ما الغرب.

يرى البعض أن العولمة ليست جديدة، و إنما هي قديمة قدم التاريخ، و هي مرتبطة بالحضارة السائدة و الرائدة التي تقود العالم في عصر ما. لقد ظهرت العولمة الجديدة كحصيلة للتطورات الحضارية و الثقافية

العالمية، التي حولتها ظروف معينة، لتصب مرة واحدة في مجرى الرافد الأمريكي،

و من ورائه الصهيونية العالمية. لكن ما الهدف؟ هل هو توحيد الثقافات المتعددة؟ هل هو التوحيد الذي يضع حدا للصراع و التناقض؟ أم أن العولمة شر مستطير و وجه كالح من وجوه الاستغلال؟ أو على العكس من ذلك هي وجه من وجوه الخير العميم، و فرصة ثمينة سانحة ينبغي الانخراط فيها للانتفاع بخيراتها؟ أسئلة كثيرة ملحة تتلخص في عبارة واحدة، أو سؤال واحد، لم يجد جوابه المقنع بعد، هو ما العولمة ؟

يتساءل أحد أقطاب الفكر الإسلامي المعاصر "الدكتور حسن حنفي"، إذا كانت وجهات النظر حول العولمة مختلفة، لماذا لا تكون هناك عولمة من وجهة نظر إسلامية؟ و ينطلق من هذا السؤال لتحليل المواقف السائدة من العولمة لدى المفكرين المسلمين المعاصرين، و الذي خلاصته : هناك اختلاف في وجهات النظر بين اليمين المؤيد للعولمة باعتبارها ظاهرة إيجابية،واليسار المعارض لها باعتبارها ظاهرة سلبية و أنها أحد الأشكال الجديدة للهيمنة الغربية الرأسمالية. و ينقسم اليسار ذاته في البلاد الإسلامية إلى يسار تقليدي يرى في العولمة استعمار جديد، و يسار جديد يرى إمكان التوافق مع العولمة دون التنازل عن الإرادات الوطنية المستقلة.

فالخلاف في رأي "حنفي" ليس بين اليسار و اليمين في بلاد المسلمين، بين الرأسمالية و الاشتراكية، أو بين النظم السياسية الوطنية، و النظم التابعة، أو بين الخصوصية و العولمة، أو بين وجهة نظر إسلامية و

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أخرى غير إسلامية ماركسية أو قومية أو ليبرالية. فقد يتفق إسلامي تقدمي مع يساري وطني في وجهة النظر، فالخلاف ليس في الإسلام و اليسار، إذا كان كل منهما ينظر نظرة وطنية تقدمية، وإنما الخلاف بين الإسلام الوطني والإسلام التابع. ونظرا لتعدد الآراء و المدارس الإسلامية، فمن الصعب معرفة وجهة النظر الإسلامية في العولمة، فهناك وجهات نظر متعددة بل ومتعارضة تبعا للموقف السياسي و الاقتصادي، و الوضع الاجتماعي لهذا المفكر أو ذاك. أما وجهة النظر الإسلامية التي لا خلاف عليها، فهي رعاية المصالح التي يسهل معرفتها بالإحصاءات الدقيقة لمكونات الواقع.

كما يرى المفكر السالف الذكر، أن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية هي مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية، و الاستقلال الوطني،و الإرادة الوطنية، و الثقافة الوطنية، فهي تعطي مزيدا من تبعية الأطراف (الدول الوطنية) للمركز (أمريكا والغرب)، تجمع قوى المركز وتشتت قوى الأطراف. إن الدفاع ضد مخاطر العولمة لا يكون بالانغلاق على الذات، ورفض الآخر، فهذا تصحيح خطأ بخطأ. بل يكون الدفاع بإعادة بناء التراث الثقافي الوطني، المكون الأساسي للثقافة الوطنية، و بكسر حدة الانبهار بالغرب، و مقاومة قوة جذبه، وذلك برده على حدوده الطبيعية، وعلى أسطورة الثقافة العالمية التي يمكن التخفيف من غلوائها، و من غزو العولمة عامة عن طريق تعزيز قدرة الأنا على الإبداع (أي تحفيز الإبداع الوطني)، بالتعامل مع ماضي الأنا و حاضرها، بين التراث و المعاصرة، بين الثقافة الخاصة، و الثقافة العالمية المعاصرة، أي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مختلف الإبداعات الثقافية المعاصرة لدى جميع الأمم، و منها بالطبع ثقافة الغرب.

يرى الدكتور "محمد عابد الجابري"، و هو واحد من أبرز المفكرين المسلمين المعاصرين، أن التعارض بين العولمة و الهوية يعاني منه الغرب ذاته، يقصد الهويات المختلفة داخل المجموعة الغربية باختلاف اللغات بينها، و غيرها من الخصوصيات الثقافية. فالغرب وحدة حضارية متعددة، إن صح التعبير. فإذا كان هذا هو حال موطن العولمة في علاقته بالهوية، فمن الطبيعي أن تكون هذه المشكلة أكبر في البلدان غير الغربية، و خاصة منها بلدان العالم الثالث. فمن الخطأ الجسيم، في نظر الجابري، النظر إلى التعارض بين العولمة و الهوية، على أنه تعارض يوجد فقط بين الغرب أو الشمال، بوصفه مصدر العولمة المستفيد منها، و بين بقية العالم أو الجنوب

الجنوب، باعتباره المدافع عن الهوية و الخصوصية ضد العولمة وغزوها.

إن النزعة التي ترفع الهوية، سواء كانت قومية أو وطنية أو طائفية، تمثل في معارضتها للعولمة مظهرا من مظاهر الصراع في عصرنا هذا، و هو صراع يعيشه العالم ككل، كما يعيشه كل بلد على حدة، سواء كان هذا البلد متقدما أو متخلفا. و إن كان هذا الصراع، يبدو أحيانا على السطح، في صورة صراع بين الشمال داعية العولمة و المستفيد الأول منها، و بين الجنوب "موضوع العولمة" و المستهدف بها، ، فليست هذه

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الحالة سوى مظهر واحد من مظاهر متعددة للصراع المترتب عن العولمة.

هناك جوانب أخرى في العولمة ، يقول "الجابري"، تأتي في مقدمتها التطبيقات العلمية في مجال الإعلام، تلك التطبيقات التي أخذت تقلل من دائرة الاحتكار في مجال المعرفة، كما أن هناك العامل الإنساني الذي تقوم به معظم المنظمات غير الحكومية التي نشطت في عصر العولمة بصورة غير مسبوقة. ثم هناك ضغط الديمقراطية الممارس على النطاق العالمي، و هو الذي يتجه إلى تكريس قيم الحرية و الديمقراطية و حقوق الإنسان. يضيف الجابري أنه يمكن التنقيص من جدوى هذه الجوانب الإنسانية في العولمة، بسبب كونها متواضعة ، و لكونها أيضا خاضعة لحساب المصالح القومية
و الإمبريالية، و يعتبر هذا النقص من السلبيات المسجلة على عصر العولمة.

يقول "الجابري"، العلاقة بين الهوية و العولمة ليست – إذن – وحيدة الاتجاه، كما أنها لا تطرح مشكلة واحدة يمكن حلها، بل إنها تفرز إشكالية لا يمكن حلها إلا بتجاوزها، و ذلك إنما يكون بمقاومة هذه الإشكالية بأقوى أسلحتها، أي تعميم المعرفة العلمية. إن الطريق الصحيح إلى التغلب على سلبيات العولمة لا يكون أبدا بالهجوم عليها، أو محاولة حصرها، بل إن السبيل إلى الحد من آثارها على الهوية، هو الرفع من مستوى الهوية إلى الدرجة التي تصبح معها قادرة على الصمود الإيجابي المشبع بالثقة في النفس.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن الوسائل التقنية المرافقة للعولمة، و خاصة منها وسائل الاتصال، هي أفضل مساعد على نشر الروح العلمية، و تعميم الروح النقدية. إن في العولمة سلبيات، يضيف "الجابري"، و لعل أهم سلبياتها و مخاطرها، هي أنها تدفع إلى الوقوع فريسة لهواجس الهوية ، سواء كان ذلك داخل البلدان المتقدمة مروجة العولمة ، أو البلدان المتخلفة المتخوفة منها. إن النقد العلمي وحده هو الكفيل بالتحرير من الاستلاب العولمي (نسبة إلى العولمة)، والتقوقع الهوياني (نسبة إلى الهوية).

يضيف "الجابري"، و هناك جانب آخر للعلاقة بين العولمة و الهوية، لم نتعود على التعامل معه، جانب جديد، كبير الأهمية، فليست العولمة مالا

و اقتصادا فقط، و لا هي ثقافة بالمعنى الشائع لحد الآن فحسب، بل هي أيضا و أساسا (اتصال عبر فضاء لا جغرافية فيه و لا تاريخ)، فضاء شبكة الاتصال المعلوماتية (الانترنيت). إنه عالم جديد راح يشكل نوعا جديدا من "عالم الغيب" مع فارق أنه عالم يتم التحكم فيه عن بعد، مما يجعله عالما واقعيا، لكن ليس هو الواقع المعتاد لدى الإنسان قبل هذا العصر، إنها واقعية جديدة، يطلق عليها "الجابري" وصف "اعتبارية".

هذا العالم الجديد، الأنترنت، يضم جميع أنشطة عالمنا المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها كلها، وإلى جانبها أشياء جديدة أخرى، مع فارق واحد، هو أن جميع أشيائه وأنشطته، يتم التحكم فيها عن بعد. وأشياؤه وأنشطته، يمكن أن تحدد بوصف "اعتباري". فليست هي خيالية أو وهمية، يفترضها تصور، بل هي وجود واقعي مجسد عبر الصورة والكلمة وجميع الرموز

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

المستعملة، ولكنه مع ذلك اعتباري، ويفسر "الجابري" مصطلحه هذا، بقوله: (إنه من العبور والاعتبار معا)، أي أن الاتصال فيه يتم عن بعد، وعبر رموز.

تيار "الجابري"، يمثل الاتجاه الذي يؤمن بالانفتاح، أو التفتح على العولمة، دون الذوبان وفقدان الهوية الثقافية الخاصة، ودليله على ذلك، هو الأمثلة الموجودة بالفعل، كما هو شأن اليابان والصين والهند، تلك الأمم التي ركبت موجة التقدم، ودخلت العولمة باقتدار علمي وتكنولوجي، مؤثرة ومتأثرة، ومحافظة على كيانها الثقافي الخاص، الذي جمع حقا بين الأصالة والمعاصرة، أو بعبارة أخرى ارتفع بهويته الثقافية الخاصة وحضارته إلى أعلى مستوى من الحضارة المعاصرة، وهناك كذلك البلدان المسماة النمور الآسيوية، وكذلك إسرائيل، التي بلغت نفس المستوى، ولو أنها ليست بالمثل الصالح، لأنها تتلقى الدعم القوي من الغرب، ومن أمريكا خاصة، فهي وإن كانت قد ارتفعت إلى قمة التقدم، إلا أن الفضل في ذلك يعود إلى عوامل
خارجية أكثر منها داخلية ذاتية.

إذن الاستفادة من العولمة ، وتجنب سلبياتها أمر ممكن، لذلك يرى بعض المنتسبين لهذا التيار المعاصر من الفكر الإسلامي، ضرورة الانفتاح الثقافي على "العالمية"، بينما يجب التحفظ على جوانب كثيرة من "العولمة"، ولتوضيح هذه الفكرة، ينبغي التنبيه إلى الاختلاف في المضمون بين العولمة Mondialisation، والعالمية Universalisme، حيث

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تقوم الأولى على الإلزام والسيطرة، بينما تتأسس الثانيـــة علـــى التفاعــل والتفتح، كما تنبغي الإشارة إلى أن العولمة نشأت على دعامتين هما:

1ــ التطور التكنولوجي، وثورة الاتصالات والمعلوماتية، الأمر الــذي ألغى المسافات بين الدول والشعوب، فزاد لهذا حجم التبادل والتأثير، وظل عامل القوة مسيطرا، حيث أن الأقوى تكنولوجيـــا، هـــو الـــذي يســـتطيع الالتزام والسيطرة، أو يسعى إلى ذلك على الأقل.

2ــ إطلاق حرية الأسواق بإلغاء أنظمة الحمايـــة الجمركيـــة، وتـــدخل الدولة، فأصبحت بذلك العملية الاقتصادية، تدور بين الشـــركات الكبـــرى المتعددة الجنسية، التي أحكمت سيطرتها على جزء كبيـــر مـــن الإنتـــاج العالمي.

يخلص بعض مفكري هذا التيار الإسلامي المعاصر، إلى أن العالميـــة تختلف جوهريا عن العولمة، إذ أن العالمية كانت ولا زالت قائمـــة علـــى المجهودات المشتركة بين الدول والأمم و الشعوب، وعلـــى طموحـــاتهم وتعاونهم في مختلف مجالات الفكر والعلوم والمعرفة والتقنية. في حين أن العولمة تريد فرض نمط معين على الشـــعوب والـــدول، فـــي مختلـــف النشاطات الثقافية والاقتصادية والسياسية والتقنية والإعلامية، ومـــا يتبـــع ذلك من سيادة القوة في العلاقات الدولية، حيث تحاول دولة، أو مجموعـــة دول معينة، بفعل ما تمتلكه من قوة، تصدير نمط محدد في كل مجـــالات النشاط الإنساني، إلى كل أرجاء العالم، خدمة لمصالحها في المقام الأول.

يرى هذا التيار الفكري الإسلامي، أن في العولمة ايجابيات، يمكن للعالم الثالث أن يستفيد منها، غير أن سلبياتها أكثر، ومن ثم ضرورة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

التعامل معها بتحفظ، وبفكر نقدي يقظ، ومن سلبياتها هذه تركيز الثروات لدى البلدان الأغنى في العالم، بحيث أن خمس سكان العالم، يحصلون على 86% من الرأسمال العالمي، بينما يحصل الخمس الأفقر والأضعف من سكان العالم على 1% فقط من الثروة العالمية. وإلى جانب هذا تستأثر حوالي (350) شركة عملاقة متعددة الجنسية وعابرة للقارات بنسبة 40% من حجم التجارة العالمية. ونتيجة هذا الوضع الاقتصادي، زادت درجة التبعية السياسية للدول النامية، وتمركز القرار السياسي لدى أمريكا وإلى جانبها الدول الصناعية السبع الكبرى. كما تراجع عامل السيادة عند الدول عامة، ودول العالم الثالث خاصة، الأمر الذي أدى إلى انتشار الفوضى الأمنية داخل الدولة، وعلى حدودها، وانتشرت الحروب الأهلية، نتيجة لضعف سلطة الدولة، وكذا الحروب الداخلية في كثير من البلدان، لأسباب عرقية أو دينية أو جهوية أو إقليمية، وهو أمر مقصود لإنهاك الدول وإضعافها، حتى تصير مجبرة على الرضوخ للعولمة.

وإلى جانب هذا وقع الانفصال بين لغة العلم والتكنولوجيا (الإنجليزية)،

ولغة الثقافة في مجالات الأدب والفنون، التي تبقى وطنية ومحلية، وهو الأمر الذي قد يهمش الإبداع الثقافي، ويؤدي إلى قطيعة غير مسبوقة، بين العلم والثقافة.

كما أخذت العولمة تؤثر في الثقافة، بفعل ديناميكية الاتصالات الحديثة، والتدفق الإعلامي الكثيف، واتساع دائرة الاختلاط بين مختلف الثقافات والشعوب. ومن المفروغ منه أن الثقافة متأثرة حتما باكتساح العولمة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الطاغي في مجال الثقافة أيضا، حتى أننا أصبحنا نشعر شعورا واضحا، بسيادة ثقافة الاستهلاك، التي تروج لها وسائل الإعلام، وخاصة منها الفضائية. إن الاستهلاك لا يقتصر على المأكل والملبس، بل يتعداهما إلى استخدام الكومبيوتر والأنترنت، ووسائل الترفيه والراحة، وفي خضم هذه الثقافة الاستهلاكية، ستكون السيطرة، والقدرة على التسويق للسلع الأكثر جودة ورخاء، والأكثر إشهارا عبر الوسائل الإعلانية المعولمة، من فضائيات عملاقة، وأنترنيت وغيرها.

ثم إن هناك تشويه للمشهد الثقافي في سياق طغيان العولمة النفعية، حيث يعتمد اللاهثون وراء النفع المادي إلى طمس الرموز الوطنية أو القومية أو الدينية، ويبرزون عن طريق الدعاية والإشهار أشخاص يمتطون موجة العولمة العاتية، بقصد تحويلهم إلى رموز، في مكان الرموز الصحيحة المهمشة، والمقذوفة إلى زاوية النسيان بعيدا عن الوهج الإعلامي الهائل، يتعرض الطمس أو الإبراز الأشخاص وكذلك المؤسسات والجمعيات والأحزاب والنقابات، حيث ينتشر الإعلام العلمي للأطراف التي تنشط لفائدة العولمة، أو ترفض الخضوع اللامشروط لأمريكا والغرب، حيث يتم اغتيالها إعلاميا، وإن عصيت عن الإعدام الإعلامي، أظهرها في صورة سلبية بغيضة ومنفرة ومكروهة، كما يفعلون مع مقاومة الاحتلال في كل مكان، حيث يمسخون البطولة، بإسباغ ثوب الإرهاب المقزز عليها، كما يستبدلون قدسية الاستشهاد ضد العدو الغاصب بحماقة الانتحار وجنونه وبشاعته، وكل هذا التزييف يصب في

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

نصرة إيديولوجيا العولمة النفعية الأنانية، إنها إيديولوجيا السوق الحر، المرتكزة على سيطرة الشركات متعددة الجنسية على الأسواق العالمة.

إنها إيديولوجية نفعية، رغم ادعائها الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان. اللهم إلا إذا كانت حقوق الإنسان هي حقوق الأغنياء فقط، دون غيرهم من الفقراء المهمشين على حدود العولمة. إن الديمقراطية الحقيقية، لا يمكن أن تقود إلى تكريس حكم الأقلية المسيطرة على الأسواق ماليا، والتي لا تعبر بأي حال عن إرادة الأغلبية.

إن الثقافة قابلة لأن تكون عالمية، لكنها صعبة التعولم، إن لم تكن مستحيلة التعولم، والفرق شاسع بين العالمية القائمة على الإنسانية والحرية والتبادل والتعاون، والعولمة المؤسسة على القهر والسيطرة والاستغلال والأنانية المفرطة.

إن ثقافة العولمة هي ثقافة الاستهلاك المادي، وثقافة تشويه الأفراد والجماعات والدول المناهضة للعولمة، وما يتبع ذلك من طمس الرموز الوطنية والقومية والدينية. لهذا فإن الثقافة الحقيقية، يصعب أن تنسجم مع العولمة، ما دامت الثقافة هي بصفة خاصة التعبير عن خصوصيات الجماعات في لغاتها وتقاليدها وإبداعاتها، إنها خصوصيات مختلفة بين الشعوب والدول، بل أحيانا نجد الاختلاف في هذه الخصوصيات داخل الدولة الواحدة، أو داخل الإقليم الواحد، وقد لوحظ في السنوات الأخيرة، أنه بقدر ما تضغط ثقافة العولمة على الشعوب، بقدر ما تبرز خصوصياتها الثقافية، في حالة الدفاع أو رد الفعل، فقد أخذت التعددية الثقافية في البروز المتزايد، منذ عام 1990م، أي منذ ظهور العولمة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

المعاصرة، حيث أخذت الخصوصيات الثقافية تظهر في مجالات متعددة، مثل الموسيقى والغناء واللباس والطقوس الدينية وأساليب العيش والحياة اليومية.

لقد أخذت ردود الأفعال الثقافية على العولمة تبرز وتتعاظم، وعقدت لهذا
الأمر مؤتمرات عالمية، مثل مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة عام 1994، حيث طغى التعبير عن الخصوصيات الثقافية الإسلامية والمسيحية والبوذية والهندوسية والكنفوشية، متمحورة حول حقوق الإنسان، ومدى اختلاف تطبيقاتها بين الدول والأمم، مسايرة في ذلك التعدد الثقافي والحضاري، ثم أخذت ظاهر بروز الخصوصيات الثقافية تتكرر في مختلف المؤتمرات المتخصصة لتنمية حقوق الإنسان والمرأة، وحتى داخل الولايات المتحدة ذاتها، حيث تكثر الخصوصيات الثقافية، ومنها تمسك بقايا الهنود الحمر (حوالي ثلاثة ملايين) بثقافتهم وحضارتهم الخاصة، وهكذا تستمر التعددية الثقافية رغم العولمة، وفي كل مكان من العالم، وأحيانا داخل المدينة الواحدة.

وعلى العكس من العولمة فإن العالمية تعترف بالخصوصيات الثقافية، وتشجعها وتدعمها، وذلك هو المناخ الثقافي الذي يكون سائدا في العالم، قبل ظهور العولمة مع بداية تسعينات القرن الماضي. لقد كانت الثقافة العالمية نابعة من التفاعل والعلاقات الإرادية المتشابكة، بين الدول والشعوب، جميع الدول والشعوب المكونة للمجتمع الدولي. إنها ثقافة التعاون الدولي من خلال العلاقات الثنائية،أو العلاقات المتعددة الأطراف

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

عن طريق المنظمات الدولية و الإقليمية سواء كانت تلك الثقافة رياضية أو فنية أو أدبية، أو غيرها، فإنها تلقى رواجا في مختلف أرجاء العالم، بفضل ما فيها من غنى وتفتح وبعد إنساني. إنه انتشار طوعي دون فرض أو إكراه أو قهر، ولا هي ثقافة ناتجة كما في العولمة عن الضغوط والتهديد باستعمال القوة العسكرية أو فرض الحصار الاقتصادي، وإنما هي، أي الثقافة العالمية الإنسانية الحرة، ثمرة لتفاعل إنساني حر في إطار مفعم بالحرية الديمقراطية. في جو التعاون الدولي هذا، تنتشر ثقافة حقوق الإنسان الحقيقية، حيث يكون جانبا منها عالميا، يستند إلى حق الإنسان في الحياة والكرامة الإنسانية، والحرية والعدالة، والتعلم. وهناك جانب آخر من هذه الثقافة العالمية السليمة، يندرج في دائرة الخصوصية الثقافية، أو الحضارية، أو الدينية، مثل بعض حقوق المرأة والأسرة، وحرية المعتقد الديني والسياسي. إن العالمية لا تقوم على قمع الخصوصية أو إلغائها، أو إختزالها لصالح قوى معينة من قوى العولمة، وفي إطار عالمية الثقافية الخاصة بحقوق الإنسان، وقع إقرار ما يأتي في الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، الصادر عام 1966:

" لا يجوز في الدول التي لا توجد فيها أقليات إثنية (عرقية) أو دينية أو لغوية، أن يحرم الأشخاص المنتسبون إلى الأقليات المذكورة من حق التمتع بثقافتهم الخاصة، أو المجاهرة بدينهم وإقامة شعائرهم، أو استخدام لغتهم، بالاشتراك مع الأعضاء الآخرين من جماعتهم". لقد صدر هذا الميثاق في جو العالمية، وهو لا يزال قائما، ورغم تناقضها مع توجهات العولمة، إلا أنها لم تستطع الإطاحة به، لأن الحق أقوى من الباطل.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن الديمقراطية مثل حقوق الإنسان، ثقافة عالمية، فهي قيم ومفاهيم، قبل أن تكون آليات عمل، وممارسات تطبيقية، غير أن عالمية الديمقراطية شيء، وعولمتها شيء آخر مختلف، كما سبق لنا أن وضحنا بالنسبة لكل قضايا الثقافة. فعالمية الثقافة محدودة، تبرز في بعض أفكارها وآلياتها، مثل الانتخابات، لكنها لا تسمح بفرض نموذج أحادي في الديمقراطية، شكلا ومضمونا، هو النموذج الأمريكي أو الغربي، كما تفعل العولمة. فكما أن نظام التعددية الحزبية، يختلف عن نظام الثنائية الحزبية الأمريكية، فإن النظام الرئاسي، يختلف كذلك عن النظام البرلماني، أو المختلط. أما عولمة الديمقراطية عن طريق فرضها بالقوة، من خلال الوصاية الخارجية، أو الاحتلال العسكري (كما وقع في العراق)، فإنها سرعان ما تسقط، بفعل المتغيرات السياسية، لكونها لم تنبع من التجربة الذاتية لشعب معين، بحيث تنسجم مع ثقافته السياسية الخاصة، التي وإن كانت متغيرة بطبيعة الحال، يمكن لذلك أن تأخذ من الثقافات الأخرى، وتتأثر ببعضها، فهذا أمر طبيعي، إذ أن تبادل التأثير بين الثقافات، مسألة مشروعة وصحية، وهو أمر حتمي كما كان دوما، وبصفة خاصة في عصر ثورة الاتصالات والمعلوماتية الحالي، غير أن مثل هذا التأثير الطبيعي، يبقى مقبولا إنسانيا ما دام بعيدا عن الضغط والإكراه، أو التدخل السافر بالقوة العسكرية، والحصار الاقتصادي، إن أسلوب الإكراه الذي تستعمله العولمة، يتعارض تماما مع الثقافة الديمقراطية، وثقافة حقوق الإنسان، التي من معانيها الأساسية حرية الاختيار.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

العولمة وخصوصية الثقافة:

لتتضح مسألة الخصوصية الثقافية وعلاقتها بالعولمة، نتخذ مثال الثقافة الإسلامية، وهي الأقرب إلينا كنموذج لعرض القضية وتحليلها. إن هذه الخصوصية في الظرف الحالي في حالة دفاع عن النفس، أمام زحف العولمة الطاغي، وهي تحاول اعتماد الحوار على أساس علاقة هذه الخاصية الثقافية بالعالمية، من خلال التفتح المطلوب، وهي في ذات الوقت تواجه العولمة، وتختلف عنها، وتنسجم مع العالمية، لكنها ترفض املاءات العولمة. وهي بهذا تتمسك بخصوصياتها، ومن هذا المنطق تقبل حوار الثقافات، وترفض صراع الثقافات، إن الثقافة الإسلامية هي ثقافة الوسطية، لا ثقافة الغلو والتطرف، لذلك فهي تتدرج في سياق العالمية أو حوار الثقافات، وترفض عولمة الإكراه والقهر والإخضاع.

إن نظرية صراع الحضارات في حكم الفشل، والمصير نفسه ينتظر ظاهرة صراع الثقافات، لكونها غير طبيعية، وترفضها الثقافات الكبرى، تلك الثقافات الممتدة في التاريخ والقائمة على أسس إنسانية راسخة و عريقة.

و المرتكزة على قواعد حضارية إنسانية عميقة الجذور. غير أن ثقافتنا الإسلامية مدعوة بإلحاح في إطار التفتح و التفاعل الثقافي العالمي لتنشيط و تقوية دورها العلمي والتكنولوجي، من خلال حوار الثقافات، حيث إن التفاعل الثقافي البناء و الايجابي، إنما يتم بين طرفين أو أكثر، يتمتعان بالقدرة على التأثير و التأثر و العطاء، إذ أن التفاعل يصعب بين أطراف متفاوتة التطور. أو بين طرف قوي و آخر ضعيف، لذلك وجب على

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الثقافة الإسلامية أن تعمل جاهدة لاستيعاب مظاهر التقدم، و خاصة استيعاب العلم
والتكنولوجيا المعاصرين، وإدماجها كليا في مختلف مكوناتها الخاصة، لتدرك العالمية المعاصرة بخصوصياتها، و تصير بذلك جاهزة لتبادل التأثير الايجابي، و التحاور البناء، والتبادل العادل، على أساس متين من المساواة والحرية و الكرامة.

إن الثقافة الإسلامية بطبعها البسيط، ثقافة إنسانية، بمعنى أنها ذات مضمون إنساني، ونزعة إنسانية، وهي متناقضة لذلك مع اتجاه الغزو الثقافي، ترفضه في الاتجاهين، أي أنها تمنع نفسها من ممارسته في حالة قوتها،
و ترفض وقوعها عليه في حالة ضعفها، عندما تتعرض كما هو الحال الآن لغزو الطرف الغالب القاهر، الذي لا يريد تبادلا، و إنما يسعى إلى فرض ثقافته على الطرف المغلوب، الذي يتعين عليه أن يقبل منبهرا بالهيمنة،
و يأخذ ما لا يحتاج إليه، بل يأخذ ما يضره، و يترك ما ينفعه من الثقافة الغازية في غالب الأحيان.

إن الوسطية هي القاعدة الذهبية للثقافة الإسلامية، وهي القاعدة القرآنية
الواردة في كتاب الله، ولا مكان للغلو والتطرف في السلوك الإسلامي القويم، و من هنا فإن التطرف مهما كانت مبرراته و دوافعه، إنما يقع خارج الوسطية، ولا سبيل إلى تبريره بأطروحات الثقافة الإسلامية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الوسطية، التي هي ثقافة تسامح و محبة و صدق و تضامن و اعتدال، و ليست أبدا ثقافة غلو و عنف، و لذلك ترفض رفضا قاطعا كل غلو وعنف، وتمتنع عن ممارسته، و تقاومه إن هو أتاها من خارج مجتمعها غازيا، و لا تمارس العنف إلا في حالة الدفاع المشروع عن النفس و عن الوطن. إن الثقافة الإسلامية الوسطية راسخة التقدم في الإنسانية، و هي تقبل الآخر مادام ممتنعا عن الاعتداء على المسلمين و بلادهم و أملاكهم.

إن الدعوة الإسلامية إلى تعريف الغرب بحقيقة الإسلام، قصد تنوير شعوبه و تحريرها من الدعايات المغرضة العدوانية، و منها الممارسات الإعلامية المضللة في إطار العولمة الانتهازية الابتزازية اللاإنسانية، الدعوة الإسلامية هذه ،ينبغي أن تقوم على أساس متين و مؤثر. إن المطلوب هو تصحيح صورة المجتمع الإسلامي، ليكون ممثلا حقيقيا للثقافة الإسلامية الوسطية المعتدلة، أي تصحيح واقع المجتمع الإسلامي، على كافة الأصعدة، من خلال التفتح و الترقي الحضاري، في سياق إنساني أصيل، حتى يكون التعريف بالمجتمع المسلم مشرفا و مقبولا و مطابقا للواقع الذي يجب أن يكون متطورا، إذ أن كلمة الطرف الضعيف الذليل المهين، لا يمكن أن تكون قابلة للاستماع. إن أحسن تعريف بالإسلام الصحيح، إنما يكون من خلال العمل لتجديد شامل، و الانخراط الفعال في التجدد الثقافي و الحضاري، بالتعاون الوثيق بين الجهات الرسمية و الشعبية والمجتمع المدني، لتشجيع تطور العلم و الإبداع و التواصل مع العالم، وذلك من خلال الارتقاء بالإعلام الإسلامي إلى مستوى ثقافي رفيع وعالمي، و إبعاده عن السطحية و الترفيه

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الاستهلاكي، و الجهل بعلوم العصر و معارفه، و أيضا المشاركة الفعالة في منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان الدولية و الإقليمية، وتنشيط الجهاز الدبلوماسي عالميا، و بعيدا عن النزاعات السياسية و الثقافية الضيقة، و ذات الأهداف المشبوهة، و كل هذا الجهد البناء لا يمكن أن يتم إلا في جو مفعم بالحرية التي أنعم بها الله على عباده، و في مناخ من الالتزام بقضايا الإنسان والإنسانية، واعتماد العقل والعدل والاعتدال، والترفع عن كل تعصب وتطرف، والتزام التخطيط في النشاط الثقافي، من خلال وضع الاستراتيجيات والسياسات الكفيلة بتجسيد الأهداف الثقافية الكبرى. هذا هو الطريق المؤدي إلى الحفاظ على وجود الأمة وجودا حرا كريما، يتبادل التأثير والإبداع في ثبات و طمأنينة مع محيطه الإنساني العالمي، ويفرض احترامه على الجميع، ويبعد عنه طمع الطامعين و عدوانهم.

إذا كانت الجوانب الاقتصادية و السياسية في العولمة واضحة إلى حد بعيد، فإن الأمر ليس كذلك في الجانب الثقافي من العولمة ، حيث إن الثقافة ذات مفهوم واسع، يشمل مختلف جوانب الحياة البشرية، بما في ذلك المأكل

و الملبس و طرق العيش و الآداب و الفنون و القيم. ثم إن المؤسسات الثقافية الدولية لا تبدو واضحة في نشاطها كما هو الأمر بالنسبة للمؤسسات الاقتصادية و السياسية، فنحن نشعر بضغط ثقافة ما، مثل ضغط الثقافة الغربية عموما، لكننا لا نستطيع دوما تحديد مصادرها. و كذلك فإن المفاهيم و القيم التي تنشرها الثقافات، لا تكون مباشرة في الغالب، و إنما يتم تلقيها بالتراكم البطيء و الهادئ، إلى أن يشعر المتلقي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لها – مع مرور الوقت– بتغير القيم التي يحملها نحو قضايا معينة، و في شتى المجالات. و إلى جانب ذلك، يصعب الفصل بين الثقافة و بين الظواهر الاقتصادية و السياسية، حيث إن ثورة الاتصالات التي أسست البعد العالمي للتجارة، هي ذاتها التي تحمل مواد تجارة القيم الجديدة، والعادات و الأفكار، و هي التي ساهمت في تغيير عادات الناس و أذواقهم واتجاهاتهم. و يلاحظ أن التدهور الأخلاقي إنما يبرز جليا في المجال الثقافي على مستوى السلوك و القيم، فمن المعروف أن ثنائي " الجنس و العنف "، يحتل مساحة مهمة في كل وسائل الاتصال، و هي الظاهرة الخطيرة التي يشتكي منها الجميع بما في ذلك البلاد الغربية المنتجة و المصدرة لهذه الممارسات عبر وسائل الاتصال المختلفة.

إن التدخل الأخلاقي أو بالأحرى اللاأخلاقي في الحياة الثقافية و القيمية في بلدان الإسلام، بقصد تنميتها و إصلاحها كما تزعم العولمة، سيجعلها أمام تدخل يشبه ذلك الذي يقع بالقوة في مجالات الاقتصاد و السياسة، على أساس الحق المزعوم " في التدخل" الإنساني لإنقاذ جماعة أو أقلية عرقية أو دينية معينة، و أيضا للدفاع عن مصالح دولة معينة ضد أي خطر حقيقي أو مفتعل (مثل أسلحة الدمار الشامل العراقية المختلفة)، بالإضافة إلى المخاطر الناجمة عن الترويج للجنس و العنف، بعيدا عن الضوابط الأخلاقية و المنطقية. إن المخاطر المحيطة بالعالم الإنساني قاطبة جسيمة، بفعل هذه الموجة العاتية من العولمة، وما أدت إليه من تهميش للقيم الأخلاقية، في المستويات المتحكمة في مصير العالم، من ميادين الاقتصاد والسياسة والثقافة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن الدفاع المشروع عن الهوية الثقافية و الخصوصيات الحضارية، ينبغي أن يتمحور حول النواة الأساسية، نواة المجتمع التي كانت منذ زمن بعيد هدفا أساسيا لهجوم أعداء المجتمع المحلي. هذه النواة المتمثلة في " نظام

المناعة " الذي يتكون خاصة من الأسرة و نظام التعليم. إنهما ركيزتان أساسيتان للمجتمع، كانتا على الدوام منذ الغزو الاستعماري و حتى الاكتساح العولمي الراهن، هدفا مفضلا للاختراق و التهميش بشتى الطرق. حيث يتم عبر التعليم تهميش الثقافة الوطنية و الانتماء و الولاء للقيم الخاصة، و للثقافة و الحضارة الخاصة. وعبر الأسرة يتم تفكيك الروابط والقيم و تبديل الأدوار التي نظمها الدين عموما، و الإسلام خصوصا.

و عن هذا البديل للأدوار داخل الأسرة، وعن تفكيك القيم وتهميش دورها، تنتج كل صور الفساد، و كل صور المرأة، و الجنس و العنف، والانحراف والشذوذ. ولا بد أن يقوم السعي، وبكل قوة، لتفعيل جهاز المناعة هذا، من أجل الدفاع عن النفس.

إن اختراق جهاز المناعة أشد خطورة من الاختراقات في عالمي الاقتصاد و السياسة، لأن اختراق النواة يفسد الدوائر كلها...و خطورة هذا الاختراق تكمن في قدرته على التسلل من خلال الرغبة و تكرار الصورة، فيتحول – تدريجيا– إلى وضع مألوف نحبه، و إلى أفكار نحملها و ندافع عنها، كما هو حاصل للنخب المغربة، خاصة في الأوساط السياسية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

والاقتصادية من بلدان العالم الثالث، التي أصبحت – لهذا السبب – تشكل خطرا جسيما على مستقبل شعوبها.

يرى مفكرو الإسلام المعاصرين، الذين يرون ضرورة التفتح على العولمة بتحفظ بالاستفادة منها دون ضرر، أن جهاز المناعة بمرتكزيه التعليمي والأسري إلى جانب مرتكزات هامة أخرى، هو طوق النجاة لمجتمعنا، بحيث ينبغي الدعوة إلى تعليم مرتبط " بالهوية و متفتحا " على تطورات العصر وعلومه وتقنياته، ومستخدما أحدث وسائله، إلى جانب "أسرة تقليدية" في قيمها، وضوابطها الأخلاقية والدينية التي تتميز بها، والتي بفضلها ظلت صامدة عبر العصور.

يرى أحد هؤلاء المفكرين المعاصرين المسلمين أن العولمة هي إرادة الهيمنة المتمثلة في قمع الخصوصي و إقصائه، أي محاربة كل ما هو ذاتي

خاص في ثقافات الشعوب، وهي عبارة عن السعي المحموم لاحتواء العالم

و اختراقه، وسلب خصوصيات الثقافات غير الأمريكية، أو قل بصفة مرحلية الغربية عامة، و هدف العولمة النهائي هو السيطرة على الإدراك من أجل إخضاع النفوس، أي تعطيل العقل ، و تكييف المنطق، و التشويش على نظام الحياة، و توجيه الخيال، وتكييف الذوق، و قولبة السلوك، و الهدف اقتصادي نفعي في نهاية المطاف، وهو تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف، و السلع، و هي معارف تتشكل مما يمكن تسميته ثقافة الاختراق.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لقد قيل كذلك : " إن العولمة هي إرادة الهيمنة، و هي بالتالي نفي لخصوصيات الآخرين، و هي احتواء للعالم، في حين أن العالمية – على العكس – هي طموح للارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي. العالمية تلاقح بين الخصوصيات، للارتفاع بها إلى ما هو عالمي و كوني.

إن موجة من الغزو مجنونة، اجتاحت عقول مشاهير المنظرين الإيديولوجبين الأمريكيين، في لحظة انهيار الاتحاد السوفيتي و توابعه من المنظومة الاشتراكية، إنها نفس اللحظة التي أعلن فيها ميلاد العولمة، على اعتبار أن القيم الرأسمالية الأمريكية انتصرت، و قد بلغت بذلك الحضارة الإنسانية ذروتها على يد أمريكا و لا تطور بعد اليوم. فقد انتهى التاريخ حسب تعبير أحد هؤلاء، و هو المنظر الإيديولوجي الأمريكي الياباني الأصل " فوكوياما "، الذي كان له النصيب الأكبر في التأثير على ممارسات اليمين المتطرف الذي بلغ سدة الحكم و المعروف باسم المحافظين الجدد. لقد سجل "فوكوياما" أفكاره في كتاب أعطى له عنوان "نهاية التاريخ"، غير أنه بعد أن رأى الفظائع التي تعرض لها العالم بسبب فكرته أو ما شابهها، تراجع نهائيا عنها، و أعلن ذلك صراحة، و تبرأ من تيار اليمين المتطرف، قائلا إنه لن يعطي موافقته – بعد الآن – على ما يحدث، بسبب الممارسات الخطيرة التي زعزعت العالم و أرعبته، و سجل كل هذا في كتاب جديد له ظهر هذا العام 2006 بعنوان : " أمريكا في مفترق الطرق."

كما أن مفكرا آخر تقدمه أمريكا كرسـول للتربـية و الحـرية، يدعى

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

" فريديريك سكينر "، يقول معبرا عن توجه العولمة أيام نشأتها المندفعة، في كتاب تحت عنوان " ما وراء الحرية و الكرامة "، مخاطبا شعوب العالم : إن الحرية و الكرامة ضرب من الوهم و الخداع، و يصف المجتمع البشري الجديد المكون من الشعوب بأنه مجتمع القطيع الداجن. و يقرر هذا المفكر بناء على تصوره لهذا المجتمع الجديد، أن حرية العبد في العمل هي الطاعة فرارا من العقاب. ثم يضيف " سكينر " هذا : إن الأقــوى هو الغــالب،

و صاحب الحق والقوة. و هكذا هي العولمة على الطريقة الأمريكية التي تمثل أعلى مراحل الإمبريالية، و ما هي في الحقيقة سوى نكوص إلى غابر الزمان، حيث كان اليونان و الرومان يعتبرون بقية الشعوب عبيدا و برابرة، فلم يأت عباقرة اليمين المتطرف الأمريكي بجديد في هذا السياق.

و يقول مفكر آخر من هؤلاء الذين اندفعوا متحمسين لصياغة إيديولوجية العولمة و هو "جورج كينان"، مخطط الحرب الباردة لأمريكا في أواخر التسعينات من القرن الماضي: (إننا نملك 50% من ثروة العالم، و لكننا نمثل 6,3% من سكانه، ففي هذه الحالة تكون وظيفتنا الحقيقية في الفترة المقبلة، تدبير نموذج من العلاقات التي تتيح لنا الفرصة لصيانة هذا الوضع المتباين – أي المحافظة عليه –، و لتنفيذ ذلك، علينا أن نستغني عن كل النزاعات العاطفية، علينا أن نتوقف عن التفكير حول حقوق الإنسان، و حول رفع المعيشة – أي معيشة الشعوب الأخرى – و حول إنعاش الديمقراطية– في البلدان الأخرى كذلك–.)

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لقد بينت الممارسات الميدانية أنهم لم يتوقفوا عن هذه الشعارات التي يرفعونها فقــط، بل راحوا يعمــلون عكسها تماما، و يتــخذون منها ذرائع
ومبررات لتنفيذ مخططاتهم الديكتاتورية، و المعادية لحقوق الإنسان،والمفقرة للشعوب، و القاذفة بها إلى الدرك الأسفل من البؤس و الذل و الحرمان، كما لم تعرف له مثيلا طوال تاريخها الطويل.

6- التنوع الثقافي و العولمة :

كنا قد تعرضنا لهذا الموضوع بشكل أو بآخر في الملاحظات السابقة، وقد كان ذلك كله نوعا من التمهيد لهذه النقطة بالذات التي هي أكثر حساسية، و الأكثر إثارة للصراع، و التحفظ و الممانعة، لأنها تمثل الركائز التي تقوم عليها الأمم، حتى إذا ما انهارت، تهدم البنيان كله، و زالت الأمة و انمحت من الوجود بزوال خصائصها المميزة لها. و لهذا يتمحور صراع العولمة بين الشعوب و الأمم حول ضرورة التنوع الثقافي، الذي ترفضه العولمة التي تريد أمركة العالم. و هو ما يجد مقاومة شرسة من جميع الشعوب و الأمم،
و منها الأمم الغربية ذاتها التي تتمسك بخصوصياتها الثقافية بكل ما تملك من القوة. إن العولمة في المقام الأول اقتصادية، و الهدف من وراء القضاء على الخصوصيات الثقافية للشعوب اقتصادي بالدرجة الأولى. غير أن المقاومة في هذه النقطة أشد من الصراع حول المصالح الاقتصادية، لأن الأمر في هذه المسألة يهدد الهوية الخاصة للشعوب و

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الأمم، و بالتالي يهدد وجودها الخاص المميز لها عن غيرها من المجموعات البشرية.

إن حماية التنوع الثقافي تقتضي تنمية التعاون الدولي في ميادين التربية في إطار المنظمات و المؤسسات الدولية و الإقليمية، و ما تبرمه من عهود و مواثيق و اتفاقيات تحكم العمل الثقافي على مستوى العالم. مثل هذه الحماية للتنوع لن تتم إلا من خلال انتــعاش الحوار بين الثــقافات و الحــضارات

و الأديــان، و نموه و تطوره، مما يجعله قادرا على ترسيخ قيم التوافــق و التعاون و التعايش بين الثــقافات المحلية والإقليمية القائمة، ومختلف الحضارات، مما يؤدي إلى تدعيم التــعاون الدولي، ضمن المنظمات الدولية،

بين الشعوب و الأمم و الدول و الحكومات، وأتباع الأديان والثقافات و إلى التأثير الإيجابي في حركة التاريخ.

إن التشبــث بالهوية الحضارية، و حماية الشخصية الثــقافية للشعوب،

و في ذات الوقت الالتزام بالتفتح و الحوار، سوف يؤدي حتما إلى التفتح الحضاري، و إلى الازدهار و الاستقرار في العالم كله، و إلى استتباب الأمن و السلام على وجه الأرض، و إلى مزيد من الرقي الشامل لكل المجتمعات البشرية.

و هذا كله عكس ما تهدف إليه العولمة في وضعيتها الراهنــة، و مــا يبشر

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

به منظروها الأمريكيون خاصة الذين أخذوا في التراجع عـن انـدفاعهم الأول بعدما شاهدوا الآثار الرهيبة الناجمة عن نظرياتهم القائمـة علـى الشعور الطاغي بالتـفوق، و على الصراع بين الثـقافات و الحضـارات و الأديان، و على ادعاء حق استعمال القوة دون الرجوع إلـى القـوانين الدولية و لا إلى الشرعية العالمية، مما جعلهم يشرعون في تدمير بلـدان بأسرها و إبادة شبه تامة لشعوب كاملة. إنها العولمة، التي ينبغي أن تعود إلى العالمية، مهما كان الثمن. لقد حان الوقت، بعـد التجـارب الفظيعـة لحروب العولمة، و تهديداتها وحصاراتها، أن يـدرك الغـرب و أمريكـا خاصة، أن العولمة وهم خطير ينبغي الإقلاع عنه فورا. و إذا كان لا بـد من قيادة العالم، فلتكن بالحوار والتعاون و التشاور بين جميع الشـعوب و لفائدة كل الشعوب. فالإنسانية واحدة لا تقبل الانقسام، إما أن تـنعم كلهـا بالسعادة و إما أن تعاني الشقاء مجتمعة. إن التعايش الحضاري و الثقـافي ضرورة لا مفر منها، وإلا وقع العالم في مأساة عدم الاستقرار، و اختلـت موازين القوى العالمية، بشكل مخيف، مما يؤدي إلـى ظـروف عالميـة عصيبة و عسيرة، كما هو واقع الحال اليوم،و إلـى أزمـات متنوعـة و حادة، و ما يترتب عن ذلك من قلق و خوف و تساؤلات مروعة. و إذن، فلا مفر من الانضواء مجددا تحت لواء المنظمـات الدوليـة، والقـانون الدولي، و الشرعية الدولية، و التمسك بها كقارب نجاة وحيـد للبشـرية، عليها أن تحسنه و تطوره و ترقيه و تدعمه، و تردع بـه مـن يحـاول الخروج عنها مهما كانت قوته الباغية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن النظام العالمي الجديد ، أو العولمة، قد أصبح منتشرا بالفعل من خلال آلياته العاملة في الميدان، و الممركزة في هيئات اقتصادية (الشركات
المتعددة الجنسية الأمريكية أساسا و بمشاركة متفـــاوتة لبقية دول الغرب واليابان)، و مالية (البنك الدولي و البنك العالمي)، وتجارية (المنظمة العالمية للتجارة)، و سياسية (الحكومة الأمريكية أساسا، و حكومات الغرب واليابان وما يسمى بحلفاء أمريكا)، وثقافية (الهيئات الثقافية الأمريكية أساسا والهيئات الثقافية الغربية، وما شابهها من الدول الحليفة التي تدور كلها في فلك ثقافة أمريكا). غير أن العولمة بطبيعتها المركزية المهيمنة الحالية، لا يمكن أن تدوم، و ذلك لأن الخطر الأكبر الذي تنطوي عليه هو محو الهويات الثقافية للشعوب، و طمس الهويات الحضارية للأمم، بمن فيها حلفاء أمريكا من الدول الغربية و اليابان التي تشعر هي كذلك بالخوف والقلق على خصوصياتها، أكثر مما تشعر بذلك على اقتصادياتها، و تعمل بكل الوسائل على حماية خصوصياتها، أكثر مما تبذل من جهود جبارة لحماية مصالحها المادية.

و في هذا المناخ الدولي السائد، فإن شعوب العالم الإسلامي المهددة بمخاطر العولمة، و المستهدفة الرئيسية بها، و التي أصيب بعضها بمصيبة عدوانها المسلح بلا شفقة و لا رحمة، على أساس أن الغاية الاقتصادية تبرر كل وسائل التدخل مهما كان فتكها و بشاعتها، هذه الشعوب الإسلامية تخوض معركة حضارية كبرى، دفاعا عن خصوصياتها الثقافية التي تهددها العولمة بالمحو و المسح، و ترسيخا

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لهويتها و حقيقتها و حفاظا على وجودها المادي و المعنوي. إن المقاومة في هذا المجال أكثر من غيره، تتمتع بمشروعية لا غبار عليها، لكن جدواها و نجاحها يرتبطان بنوعيتها وكيفيتها، أي أنه لا سبيل للنجاح الحاسم هنا إلا ببذل جهود مكثفة و فعالة لحسم التحدي الأساسي الذي هو بلوغ درجة التحكم في علوم و تكنولوجيات العصر،ومهما كان الثمن لأن الأمر يتعلق بمعركة وجود.

نظرة غربية غير أمريكية للتنوع الثقافي :

يرى مفكرو هذا الاتجاه الأوروبي الذي يتصدى للعولمة المهددة
للخصوصيات الثقافية، أن عولمة " الصناعات الثقافية " قد وضعت "المنتجات الذهنية" في قلب النقاشات الدائرة حول المبادلات التجارية، و إن التنوع الثقافي الذي وقع تهميشه، و فرض الوصاية عليه، قد دخل بقوة في الواقع الدولي الراهن، بمعنى أنه انتصر على التهميش، و تخلص من الوصاية التي فرضتها عليه العولمة، مما يعني أن واقعا جديدا قد بدأ يتشكل في اتجاه العالمية، مما يعد انتصار للخصوصيات الثقافية و الحضارية على العولمة ذات العداء المستحكم لهما.

و يرى هؤلاء المفكرون أن فكرة التنوع الثقافي، شديدة التعقيد لأنها تقوم على أساس لا يحدد مصطلح الثقافة، ربما بسبب تعددها، كما أن هذا التنوع يتعلق بوضعيات مختلفة و متضاربة بين شعب و آخر، أو بين

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

منطقة وأخرى من العالم،و في هذا السياق يمكن رصد اتجاهات أساسية ثلاث للتنوع الثقافي:

* الأول، يتمثل في موقف بعض الدول، وهو مقبول أو يتمتع باستحسان بعض الهيئات الدولية، إذ أنه يدافع عن سياسة وطنية وإقليمية تحمي "المنتجات الذهنية" للشعوب من الاضمحلال، وتعارض تطبيق نفس "المنتجات المادية" عليها.

*و الاتجاه الثاني، التوجه الذي تدعمه الشركات الكبرى التكنولوجية الاتصالية، التي ترفض منح "المنتجات الذهنية" أي خصوصية، وتعالج التنوع الثـقافي بزيادة الصناعات الثـقافية و توسيع عروضـها التجارية، واعتبار السوق هو الحكم الوحيد، أي أنها تعالجها مثل "المنتوجات المادية" تماما ودون أي فرق بينهما.

* أما الاتجاه الثالث، فيطرحه دعاة الوجه العالمي اللاقومي، وهم يرون أن تقلص أو نهاية "الدولة- الأمة" ، يتطلب تدعيم مجتمع مدني مختلط، أي دولي، يضمن استمرار التنوع الثقافي داخله. لكن هذا المجتمع، و بسبب طبيعة تكوينه المختلط من أعضاء متعددي القوميات، فهو جدير بتخفيف حدة النزعة الأصولية للتـنوع الثقافي، و التي تتـنافى و إمكان تمازج الثـقافات

وترادفها، باعتبار أن النزعة الأصولية منغلقة على نفسها ومتعصبة ومتطرفة، لا تقبل الآخر و لا تتعايش مع خصوصياته.

لقد أمكن انتزاع الاعتراف بالتنوع الثقافي، و هو الذي أصبح يشكل أساس الديمقراطية،و هو ظاهرة جديدة، انبثق عن نزاع حول

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

موضوعه.ومن هنا وجب التعرف على بنية مختلف الحركات القومية في التاريخ، والتي أعطت لهذا التنــوع معنى عبر مراحل التاريخ المتعاقــبة. و يمــكن إدراك

و ملاحظة هذا التطور عبر الزمان، من الثقافة إلى الثقافة الجماهيرية، ومن الثقافة إلى الاتصال، ومن الشعب إلى الجمهور، ومن المواطن إلى المستهلك. كما يمكن تحديد النزاعات التي تمت في موضوع التنوع الثقافي، باعتبارها توترات حدثت بين المشروع التوسعي التجاري الشمولي في إطار تأثير التبادل الحر (الاستعمار بمختلف أشكاله و تطوراته، و الذي تعتبر العولمة آخر شكل منه في الظرف الراهن) و بين قيم الإنسانية الشاملة في ثقافات مختلف الأمم، بين النزعة العرقية الإثنية المركزية للاستعمار الثقافي و بين المقاومة و الممانعة و الصراع من أجل الهويات الوطنية، بين المجال المحلي المغلق للثقافة و بين التوجه الثقافي العابر للحدود. و النتيجة من هذا كله، هي أننا اليوم نعيش صراعا مريرا و مصيريا بين الثقافة كتبادل منتوجات سلعية، مثل سائر السلع، و بين الثقافة كثروة عامة مشتركة للمواطنين، و بين الثقافة

كثروة للإنسانية جمعاء.

إن جوهر الإستراتيجية الثقافية الأوروبية هي السعي إلى تحويل العولمة إلى عالمية، حيث إن العالمية تقوم على التنوع الثقافي، و تتبادل معه التأثير و التطوير أخذا و عطاء. لقد بدأ العالم يضيق، و أصبحنا نتحدث عنه كقرية كونية صغيرة، لم تعد قــادرة على استيعاب تنقل الأشخاص و المنتوجات و الأفكار.غير أن التنقل الواسع والسريع بفعل

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة، قد خلق حضارة ذات طابع كوني، لا جدال في ذلك، كنتيجة للاتصال و الارتباط بين مختلف المنتجات البشرية، و نتج عن هذه الحركة من التواصل وعي إنساني شامل،لا يلغي الحياة الوطنية والإقليمية والقومية، كما تفعل العولمة،و إنما يتموضع فوقها كمستوى عالمي مشترك بين جميع الشعوب و الأمم، تتنافس على بلوغه و تطويره من خلال إغناء و ترقية خصوصياتها الثقافية المحلية لتصبح عالمية عندما تبلغ نقطة من الرقي، تمكنها من انتزاع اعتراف كل شعوب العالم، بحيث تصبح ملكية جماعية لها، و هو ما يسمى بالعالمية القائمة على أساس التنافس المبدع الشريف، و التي من خلالها تتدعم العلاقة بين ما هو محلي وطني أو قومي، و ما هو عالمي شامل أو عام و مشترك بين جميع الشعوب و الأمم.

أما العولمة الثقافية، فهي لدى المفكرين الأوروبيين الغربيين،غير الأمريكيين، عبارة عن امبريالية ثقافية توسعا و هيمنة و تنميطا. إنها مجمل السياقات التي يدخل فيها مجتمع ما في النظام العالمي الجديد أو العولمة.وهي كذلك الطرق التي تعامل بها الشرائح و النخب القيادية في العالم الثالث،ومنها الضغوط و الابتزاز و الإفساد و القوة، لتساق هذه النخب في اتجاه المركز المسيطر في الخارج ، في أمريكا و الغرب عموما.

و يتحدث هؤلاء المفكرون الأوروبـيون الغربـيون كذلك عما يسمونه

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

"الاستثناء الثقافي" و يقصدون به النموذج الأوروبي للعالمية و التنوع الثقافي، حيث كانت أوروبا هي المسرح الأول لتجربة اندماج إقليمي واسع تجاوز مستوى الاقتصاد إلى المستوى الثقافي ذاته. لقد كان الاندماج الإقليمي مشكلة قائمة بذاتها، لأن أولوية التجمع أو التكتل الأوروبي كانت اقتصادية في أول الأمر، ثم وقع الانزلاق إلى الثقافة، و من مفهوم الثقافة إلى مفهوم الاتصال. و قد أدى مجمل هذه التطورات و التداعيات الوحدوية إلى الإعلان عن "الهوية الثقافية الأوروبية" المشتركة، أي إلى وجود و نشأة اتحاد ثقافي أوروبي فوق الخصوصيات الوطنية لكل بلد أوروبي، لكنه لا يلغيها، و هو ما وقع إقراره في معاهدة "ماستريخت" الأوروبية عام 1992 . و هذه المعاهدة تتحدث عن التنوع الثقافي الأوروبي، و تدعو – في ذات الوقت – إلى إيجاد ثقافة أوروبية مشتركة، حيث تقول: " إن الاتحاد الأوروبي يسهم في تدعيم ثقافات الدول الأعضاء، و ذلك باحترام التنوع الوطني و الإقليمي، في الوقت الذي يعمل فيه على تدعيم و إبراز الميراث الثقافي المشترك."

التنوع الثقافي في نظر بعض مفكري العالم الثالث :

ينطلق هؤلاء من إعادة النظر في مصطلح العولمة، و يفضلون

استبداله بمصطلح الكوكبة، و يشيرون إلى دعاوي الديمقراطية الزائفة المصاحبة للعولمة، حيث تقوم حوارات فوقية "شوفينية"، تتبع و تصب في إطار الزهو بالذات لدى أمريكا و الغرب. إن عمر الإنسان المدون على وجه الأرض هو 25000 عام، و التحرك الثـقافي الذي يشهده العالم

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

حاليا هو التحرك الثالث، و هو ما يسمونه الكوكبة بما يعني ذالك من انتقال البشرية إلى نظام جديد من الحياة، و من الجدير الملاحظة أن البشر يختلفون في أساليب حياتهم وفق مصادر ثقافية متنوعة، و بالنسبة للمسلمين عامة كمثال، فإنهم قوم يفضلون، تبعا لحضارتهم و ثقافتهم، العيش في سلام،و يرغبون في الاتصال والتواصل مع الآخر، أي مع غير المسلمين من الناس، و يفضلون ثقافة الحوار في كل الظروف، و في كل أحوال الزمان و المكان. إنهم أهل تعاون و تحاور مع الآخر. و لذلك يتساءل هؤلاء المفكرون لماذا الحرب إذن؟و لماذا المقـــاومة؟

و لماذا هذا الرفض لثقافة العالم الجديد أي أمريكا؟ هل مثلا، لأن هذا العالم الجديد استطاع أن يدخل في مجالات متعددة هي من اكتـــشافه و ابـــتكاره،

و نتيجة لذلك عجز غيره من أهل العالم الثالث والمسلمين منهم، على التواصل معهم بحكم تخلفهم؟ إننا حقا نعيش عصر الجيل الثالث من الثقافة الجديدة، عصر العولمة، أو الكوكبة. هل العجز على اللحاق بالعالم الجديد الذي ذهب بعيدا في تطوره، هو الذي أنتج الإرهاب كنوع من الرفض لهذا الآخر، الذي صار التواصل معه صعبا أو مستحيلا بسبب تطوره؟ لكن لماذا-إذن- يتفق العالم كله، شماله و جنوبه، على مقاومة الإرهاب والتصدي له؟

و إذا كان الجميع يرفضون الإرهاب، فهل هناك أشكال أخرى من المقاومة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

و الصراع ضد العولمة، تكون مقبولة و مشروعة؟ و المهم هو كيف يمكن

التكيف مع هذا العالم الجديد، و هذا الجيل الراهن من الثقافة،و نحن نعيــش في عالم تــتصارع فيه بصورة دائمة منذ ظهور العولمة هويات وثقافات، يبلغ تعدادها(خمسة آلاف ثقافة)؟ هل يستطيع المسلمون مثلا أن يتنازلوا عن تصورهم للدولة، التي يجب أن تقوم على أساس نظام من الخير و العدل و السلام؟ و من ناحية أخرى، كيف يستطيع أهل الجنوب مخاطبة هذا العالم الجديــد الذي يتقدم بســرعة مذهلة ؟ كيف يتواصلون و يتعاملون و يتعايشون معه؟ يجب على شعوب الجنوب ، مهما كانت أصالة ثــقافتها و حضارتها، ألا تكتفي بتقديس ماضيها، بل عليها أن تقوم بحركة قوية في اتجاه التقدم، و امتلاك ناصية العلم و التكنولوجيا، مما يجعلها تحدث طفرة في سياق الثقافة المعلوماتية، كما عليها أن تجد الصيغة المناسبة للتعامل على قدم المساواة مع العالم الخارجي. وعلى أي حال ، يذهب هؤلاء المفكرون إلى رفض التنازل عن القيم و المثل الخاصة، بما فيها القيم الاقتصادية المحلية ذاتها، و ذلك لأن القيم الثقافية هي التي تصنع التقدم و التحضر. غير أن ثقافة الرفض لا تصلح للتعامل مع الآخر، و لا للتواصل معه، وأن الاختلاف بين الثقافات و الحضارات حق، لكنه لا يعني الصراع بالضرورة، و أن للآخر حق إبداء الرأي، و له الحق في الاعتقاد، و حرية الفكر. و قد ينشأ لسبب أو لآخر صراع بين المختلفين في الرأي والعقيدة و الثقافة، و في هذه الحالة تصبح القضية الأساسية هي كيفية إدارة هذا الصراع بكيفية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تجعله طفيف الضرر ، إن لم يكن عديمه، حيث أن الاختلاف حق لا محيد عنه.

إن الاختلاف حق، و هو ما تريد العولمة بصورتها الحالية طمسه، لأن

حق الاختلاف يعني، فيما يعنيه، رفض الهيمنة والعنصرية الثـقافية، والاعتراف بحق التنوع في العقيدة و الثقافة والمساواة بينها. إن العالم في حاجة إلى التنوع الثقافي، مثلما تحتاج الطبيعة إلى التنوع البيولوجي، حسب قول مدير "اليونسكو". و إن التنوع في الرأي و العقائد هو إثراء للفكر الإنساني. أما عن مقولة الدور التحضيري، أو الحضاري للاستعمار، فيرد عليه هؤلاء المفكرون بالموافقة العكسية، فيذهبون إلى أن الاستعمار قد قام فعلا بدور حضاري كبير، لكن لفائدة شعوبه فحسب، و على حساب ضحاياه من شعوب المستعمرات التي أغرقها في البؤس و الجهل و الحرمان. إن الثقافة بمعناها الواسع تعني العادات و التقاليد و العقائد و السلوك، و تبعا لهذا فإن الحروب تنشأ في عقول البشر، يقولون، و علينا أن نبني حصون السلام في عقول البشر. و في هذا السياق، ينبغي الاعتراف بحق الآخر من خلال التفاعل الحر والخلاق، ثم إن الديمقراطية في الخارج لا تنفصل عن الديمقراطية في الداخل، وما الحروب التي تشتعل الآن في كثير من بلدان العالم الثالث والإسلامي منه خاصة، سوى نتيجة للعولمة الراهنة التي لا تعترف بحق الآخر في الثقافة و لا في الديمقراطية الحقيقية. نعم، إن الكوكب الأرضي قد أصبح قرية صغيرة بالفعل نتيجة التطور الهائل في المعلوماتية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

و وسائل الاتصال و التواصل، غير أن ذلك لا يبرر دعوات و ادعاءات منظري العولمة الذين يدعون إلى إعادة تشكيل العالم بالقوة و الحروب إذا اقتضى الأمر. فمثل هذه الدعوى خاطئة و لا يمكن تطبيقها في الواقع، و قد بدأت نتائج خطئها الفادح تظهر على الأرض، حيث تدور الحروب المدمرة البشعة، و بدأ هؤلاء المنظرون أنفسهم يعترفون بخطئهم الجسيم و يقلعون عن أفكارهم الفظيعة، كما فعل "فوكوياما"، الذي سبق الحديث عنه، و هو أحد البارزين منهم. إن إعادة تشكيل العالم هو عبارة عن تصور مادي يخلو من البعد الإنساني، و هذا هو مصدر الخطأ الكبير فيه، و من ثم استحالة تطبيقه. إن التشكيل لا يكون إلا للمادة و ليس للإنسان أبدا، إذ أن التشكيل يقتضي تطبيق قوانين المادة على البشر، أي تحويلهم، أو بالأحرى اعتبارهم مجرد كتلة مادية، و من ثم صياغتهم عن طريق وضعهم في القالب أو السياق، الذي يوصف بأنه جديد، أي مقتضيات العولمة، و هذا تصرف مناف للحقيقة، حقيقة البشر، و لا يمكن أن يطبق في الواقع. و تبقى الحقيقة التي لا يمكن أن تتبدل، مهما كان جبروت العولمة هي أن "وجود الإنسان و كينونته و مصيره على هذه الأرض، و إن كان وجوده غير إرادي، فهو وحده – أي الإنسان – الذي يصنع كينونته، و يقرر مصيره، و الإنسان في رحلته الإنمائية جسد واحد، تحكمه علاقات الوظيفة، فكل عضو فيه يؤدي وظيفة لا يؤديها العضو الآخر". أي أن الاختلاف في الثقافة و الحضارة مستحيل الإلغاء، وأن أية محاولة في هذا الاتجاه عبث لا طائل من ورائه.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن تقنيات الاتصالات و شبكات الإعلامية و المعلومات تمنح اليوم مختلف الأمم فرصا عظيمة، لتبادل الخبرات و تجديد الوعي و تحرير العقل من الأشكال الثقافية الرديئة. إن هذه الثورة الاتصالية و المعلوماتية هي التي هيأت الظروف الملائمة لإعلان العولمة. لكن من يقود هذه العولمة الطاغية؟ لو كان قادتها من المفكرين و العلماء، لأمكن بعث فضاء للحوار و النقاش و التلاقح الثقافي، و حتى لو كان الذين يقودون العولمة هم قادة الدول

و حكوماتها، لكان في الإمكان عقد صفقات دولية كبرى يعود نفعها على جميع الشعوب. صحيح أن العولمة تستخدم العلم و تظهر أحيانا في بعض صور النشاط السياسي، كما يبدو الأمر في ممارسات الإدارة الأمريكية،وكأنما هي التي تتولى قيادة العولمة على مستوى العالم و العلاقات و الحياة الدولية، غير أن المظهر السياسي زائف، و مناف للحقيقة. فلا الفكر و أربابه، و لا السياسة و ممارسوها هم الذين يتحكمون في ممارسات العولمة. إن الذي يقود حركة العولمة هو "نظام التجارة"، و هو نظام أعمى أصم لا يعرف سوى الربح و تكديس الأموال بقطع النظر عن الوسائل المستخدمة و طبيعتها. يقال عن هذا النظام التجاري: "هو نظام غلاب بطبعه، ما نازل نظاما آخر إلا غلبه، لكن بطشه مستمد من ضعفه، فهو أقل النظم الاجتماعية اهتماما بالرمزيات الوطنية،و أقلها اكتراثا بالقيود الأخلاقية، وأبعدها عن النزعة الإنسانية. المستفيدون من العولمة هم الذين يقومون بترسيخ وجودها، و هم صفوة الأثرياء، و أصحاب الشركات المتعددة الجنسية، حيث تتضاعف أرباح القلة على

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

حساب شقاء الكثرة الكاثرة من البشر. و تذكر بعض الإحصائيات أن " 358 " مليار ديرا يملكون ثروة تضاهي ما يملكه ملياران و نصف المليار من البشر، أي ما يقرب من نصف سكان المعمورة. و هذا الثراء الذي يتزايد دائما يتم بسبب تضخم "الاقتصادي" و تهميش "السياسي"، و الذي يدفع الثمن هم الفقراء الذين بدأوا يفقدون حماية الدول لهم من مخالب اقتصاد السوق، و يعانون تراجع الخدمات الرخيصة التي تقدم إليهم،وذلك بسبب التهرب من الضرائب، وبسبب الإمكانات المتسعة لنقل الأموال و الأعمال من بلد إلى آخر على حسب ما تقتضيه مصلحة أصحابها. و هكذا ففي العالم تبخر مستمر للطبقة الوسطى، حيث ينضم جمهورها الأعظم إلى طبقة الفقراء و العاطلين عن العمل، و تنضم فئة منها لا تزيد عن 20% إلى صفوف الطبقة الثرية، و لا يناظرها في مسيرة التدهور المتصاعد سوى " البيئة الطبيعية " التي يتم تدميرها بشكل منتظم من أجل تحقيق الأرباح و لو أدى ذلك إلى خراب لا يمكن إصلاحه. و من أجل تفكيك الثقافات المحلية والقضاء بالتالي على التنوع الثقافي، يدور اليوم حول الأرض أكثر من خمسمائة قمر (500) صناعي تتولى بث الصور و الأفكار و النماذج و النظم في كل اتجاه لمعظم جوانب الحياة التي يعيشها الغرب المتطور صناعيا، بحيث أن هذا الفيض الهائل من رموز الحداثة أربك "الوعي" لدى معظم أبناء الشعوب النامية.

فقد صارت سلوكاتهم موجهة نتيجة الدعاية المكثفة بأحلام جديدة،

و أصبحوا يتطلعون إلى أنماط من العيش تعجز عن تحقيقها إمكاناتهم المتواضعة. ثم إن العولمة أدت إلى تسريع التحولات الهيكلية في أسواق

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

العمل، مما جعل الكثير من الشباب يجد نفسه غير مؤهل لمتطلبات التنمية الحديثة، و بالتالي أصبح فريسة للبطالة. بهذه الوسائل و بغيرها يتم حاليا تفكيك الثقافات المحلية، أو على الأقل هناك محاولة رهـيبة من هذا القبـيل، و منها ضرب الجذور لكثـير من المفاهيم والتقاليد الوطنية، و خاصة منها التي تقع عائقا أمام المزيد من أرباح الشركات المتعددة الجنسية العملاقة.

و هكذا يقع الزج بمئات الملايين من البشر في وسط هلامي ضبابي زاهد في القديم، و عاجز عن التعامل مع الجديد. إن المستفيدين من العولمة يروجون لصورة لها تظهرها على أنها عبارة عن مصير كوني جاءت به تطورات منطقية محتومة لا راد لها، و ما علينا إلا الاستسلام لها، و محاولة الحصول على نصيب مهما كان متواضعا من فوائدها. و هناك من مثقفي العالم الثالث المستلبين من يخضع تماما لهذه التصورات، و تعتبرها حقيقة لا محيد عنها، و يتغاضون عن الحقائق الناصعة التي تشير بأصابع الاتهام إلى العولمة برمتها. والواقع أن العولمة ما هي إلا استثمار مكثف لكل أشكال التفوق الغربي، وهو استثمار مجرد من أي بعد إنساني، وهو يستخدم وسائل غير أخلاقية وغير عقلانية وغير علمية في حصد المزيد من المكاسب للغرب المسيطر، حيث يحاول "تنميط العالم" من خلال تدمير "التنوع الثقافي" العالمي، بغية تسهيل السيطرة ، و إزالة كل الحواجز التي تقف في سبيل هيمنة الشركات الكبرى على توجهات الناس وسلوكاتهم، والوسائل لذلك شهوانية استهلاكية في المقام الأول، كما يصورونها في الأفلام، و مختلف وسائل الدعاية و التنميط و التأثير. غير

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أن الغرب، و هو يسوق أنماط معيشته من أجل نشرها بين جميع سكان العالم، يحرص على إخفاء أسرار التكنولوجيا عن غير أبنائه في حصون منيعة، فهي ليست مثلا من السلع المعروضة للبيع و التصدير. و أمام هذا الوضع الظالم يتساءل المخلصون من أبناء الجنوب: ما العمل؟ و يجيبون بأن الشعوب في القديم كانت تحمي ثقافاتها من بطش الثقــافات الغــازية بالعزلة و التقوقع، أو التحنيط، كما هي العبارة الشهيرة لأحدهم. أما اليوم فالعزلة مستحيلة مع ثورة الاتصالات التي جعلت التمازج قدرا محتوما، فالمناورة معدومة، و العيش على هامش العصر لا يختلف عن الاندماج في ثقافة أجنبية منحرفة، فكلاهما يؤدي إلى التحلل الذاتي. فلم يبق إلا مخرج واحد من الكارثة، هو "تحسين الذات"، لتصير قادرة على مجابهة العولمة حيث يجب ذلك، و الاستفادة من إيجابياتها المتاحة في ذات الوقت.

إن العولمة ظاهرة شديدة التعقيد، و التعامل معها كما يذهب إلى ذلك بعض المفكرين المسلمين المعاصرين، يجب أن يرتكز على مجموعة من "الحلول المركبة"، و قد يكون ذلك في توزيع الجهود على ثلاثة محاور أساسية هي:

1- المزيد من الالتزام، ما دامت العولمة تحمل معها روحا علمانية مادية، و تدعو إلى نفسية استهلاكية دنيوية، و تهون من المحرمات الثقافية، و تنزع الاعتبار عن كثير من القيم و المعايير الأخلاقية. و هنا تتعين المقاومة بتمتين الالتزام لدى الشباب، و تحصينهم بالأخلاق الحميدة. كما أن الالتزام لا يعني مقاومة تيار الشهوات الجارف الذي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تحمله العولمة فقط، و لا ترك المحرمات والقيام بالواجبات فحسب، و إنما يعني الالتزام إلى جانب ذلك إنعاش القيم التي يفرضها العـــيش في عصر العولمة، مثل قيم الديمـــقـــراطية و التـــفتح والحرية و التعاون و التضامن و النزاهة، و غيرها من القيم الإيجابية، حيث إن هذه القيم هي التي تجعل ثقافة أكثر جاذبية من ثقافة أخرى، وهي وحدها القادرة على صد الغزو المدمر،وحماية المجتمع المحلي من الذوبان والاضمحلال.

2- المزيد من التفوق، لأن الغلبة للأقوى عند كل صراع، و مع تطور الآلية أو "الأتمتة" ، فإن العالم يتجه مسرعا إلى الاستغناء عن خدمة الضعفاء و تعويضهم بالآلة التي يتجه تطورها السريع إلى الاستغناء عن مساعدة اليد العاملة البشرية، و تعويضها بالأوتوماتيكية أو "الأتمتة"، مما يجعل التقديرات تشير إلى أن تطورات الآلة ستؤدي في وقت ليس ببعيد إلى الاستغناء عن 70% من القوى العاملة حاليا. و زيادة على هذا فإنه لا سبيل إلى سد الفجوة الحضارية القائمة بين عالم الجنوب، ومنه المسلمون، و العالم الغربي سوى التفوق في ميدان العلم و التكنولوجيا، و هو أمر ممكن عن طريق تعليم أفضل، وتدريب أرفع مستوى وأكثر انتشارا، وبحث علمي أكثر جدية،وأيضا من خلال تربية أسرية و اجتماعية، تجـــعل الفرد متعودا على التفكير المعقد و العمل الشاق و طول النفس في الانجاز.

3- التحول من التأثر إلى التأثير: لقد أتاحت ثورة الاتصالات التي لا زالت في بدايتها، لمن لديه شيء، فرصة نشره على العالم بأسره، و ما

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

دام للمسلمين رسالة عالمية، و خصوصية حضارية و ثقافية، و طموحات مشروعة لممارسة تأثيرهم على العالم و قيادته لخير الناس جميعا، فما عليهم إلا أن يهتموا بشأن العالم كله، و يتحولوا من الخطاب المحلي إلى الخطاب العالمي، و من الصلاح إلى الأصلح، لأن أفضل وسيلة لحماية حدود الثقافة الخاصة، هي بناء خطوط متقدمة في ثقافة الآخرين لتبليغ الرسالة الخاصة لثقافتنا من خلالها حيث تبدو هذه الخصوصية ، كما هي في حقيقتها متألقة،

و ذات لياقة حضارية عالية. إن واجب المثقفين المسلمين في معترك عصر العولمة هذا، أن يوضحوا للناس عبر وسائل الاتصال العملاقة ما هو جدير بالتبليغ و التوضيح من خصوصيات ثقافتهم و حضارتهم، فذلك هو جوهر الريادة الاجتماعية، و ذلك هو استحقاقها، حماية للذات الثقافية و الحضارية، و إسهاما في إشعاع مظاهر الحق و الصدق و الخير على العالم أجمع.

إن التحالف بين الثقافات و الحضارات، بل و الشعوب، أصبح حاجة ملحة من أجل حياة أفضل لجميع شعوب الأرض في عصر انعدمت فيه المسافات، و توثقت فيه سبل الاتصال و التواصل، مما يوجب التركيز على العلاقة الوثيقة بين التنوع الثقافي و التنمية. و لا بأس، بل من مصلحة الناس في العالم كافة، أن يقوم تنافس حضاري يحفز على الرقي و التقدم، و ليس الكبت والهيمنة و القهر وما إلى ذلك من الممارسات التي لا تليق بالبشر،وهو ما يستلزم الابتعاد نهائيا عن الصراعات السياسية و العسكرية التي تمزق عالم اليوم.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لقد عاشت الدولة الوطنية الحديثة في العالم الإسلامي حالة من التناقض، حين سعت إلى التحرر من الاستعمار الثقافي السياسي بعد الاستقلال، و إذا بالاستعمار الجديد يشرع في إقامة علاقات سياسية و اقتصادية ، يمنح فيها لنفسه الأسبقية في التعامل مع الشؤون الدولية و الاقتصادية لمستعمراته السابقة، لذا يرى بعض المفكرين المسلمين أن العولمة ما هي سوى المرحلة
الأخيرة من الاستعمار الجديد المتمثلة في نجاح المشروع الرأسمالي العالمي.

إن بلدان الجنوب ، و منه العالم الإسلامي، تحتاج في مسعاها للنمو إلى العلم و التكنولوجيا الغربيين، و من غير الممكن استقدامهما دون القيم الأخلاقية التي أنتجتهما، و قد استخدم الغرب، من بين ما استخدم أثناء الاستعمار القديم، من الوسائل الثقافية و الأفكار لاستعمار العالم الثالث. و في هذا الإطار ازدهر الاستشراق و التبشير، و أنشطة أخرى مشابهة، و في حضور الجيوش و غيرها من القوات، و في ذلك تعاون وثيق بين الغزو العسكري المادي، و الغزو الفكري و الثقافي. غير أن الأمر يختلف نوعا ما في عهد الاستعمار الجديد بسبب التقدم التكنولوجي السريع، و تعرض التكامل الفكري و الثقافي للشعوب النامية للخطر، حيث سعى الاستعمار إلى إنشاء نخبة ثقافية داخلية بقيم غربية، من خلال إرساء نظم التعليم و الفكر في العالم الثالث، و كانت ثقافة الاستعمار إيديولوجية بطبعها. أما الغزو الثقافي الحالي عن طريق التكنولوجيا المتقدمة، فقد نتج

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

عنه: سعي الثقافة الغربية الإيديولوجية بطبعها، إلى قهر وسائل النقد و العقلانية، لدى المســـلمين مثلا،

و استهدفت العقل لديهم خاصة في محاولة لجعله ينسى ماضيه المتميز المجيد. و أمام الجبروت الأمريكي و تفرده بالقوة و السيطرة في شتى المجالات، و تعلق إرادته بغزو العالم بأسره، فكريا على الأقل، وجب إعادة صياغة السؤال المطروح على النحو التالي : ماذا يجب عمله لإنجاز نهضة ثقافية و سياسية و اجتماعية عقلانية في العالم الإسلامي المعاصر؟ إن العالم الإسلامي مثل غيره من بلدان العالم الثالث، لا يستطيع في مجال الفكر تجنب مضمون الثقافة الغربية المعاصرة، و بالأخص الثقافة الأمريكية في سياق النظام العالمي الجديد، أو العولمة، فقد أصبح هذا النظام منذ أوائل التسعينات من القرن الماضي ظاهرة سياسية شاملة، و لا مفر للعالم الإسلامي من الأخذ في عين الاعتبار ، إضافة إلى التحدي الثقافي و التحدي السياسي المشروع، الصهيوني و التغيرات الحادة في طبيعته، في سياق النظام العالمي الجديد.

و عليه، فإن المهمة الأكثر أهمية و استعجالا للعالم الثالث، هي السعي للتحرر السياسي و الاقتصادي من الهيمنة الجديدة ، و العامل الأكثر حسما في هذا المضمار هو التخلص من الاستعمار الثقافي، لأن الهدف الأساسي للاستعمار الجديد و العولمة، أو ما يسمى "ما بعد الاستعمار" هو الهيمنة الثقافية، و بث القيم الغربية في العالم الثالث. و يرفض الغرب إجراء نقاش شامل حول القيم الثقافية مع الجنوب، مفترضا

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أن قيمه الخاصة هي المعيار، أي أنها قيم عالمية، و أن تبنيها كفيل بحل مشاكل العالم الثالث الاقتصادية

و الاجتماعية. و قد ذهب إلى التعبير عن هذا الوضع معتبرا أنه " بغض النظر عن قدرات الغرب العسكرية و النووية الفائقة، فإن ما بعد الاستعمار سلاح يهدف لتدمير التنوع الثقافي في عالم اليوم، و خلق ثقافة عالمية متجانسة واحدة هي الثقافة التغريبية ".

إن وقوع معظم المناطق الساخنة في العالم الإسلامي ليس مجرد مصادفة، و إنما السبب هو رفض الغرب التوصل إلى تفاهم مع أي نسق للقيم غير نسقه، بالإضافة إلى غياب الديمقراطية في العالم الإسلامي، مثل بقية بلدان العالم الثالث، و أيضا أزمات حقوق الإنسان و سكوت الغرب عن ذلك، ، رغم ادعاءاته التي تتخذ هذه القضايا ذرائع للتدخل في بلدان الجنوب، من أجل خدمة مصالحه و تطويرها أكثر، و لا شيء غير ذلك. ففي العولمة تزدهر صناعة السلاح الذي يصدر إلى الجنوب، حيث الحروب الأهلية في تزايد مخيف. و قد أدت هذه الظروف إلى غياب حوار ثقافي جاد بين الشمال و الجنوب، و أدى غياب الاتصال و التسامح الثقافي إلى تعريض السلام

للخطر على المدى القريب على الأقل.

إن المشكلة الأساسية لعالم الجنوب هي حماية التنوع الثقافي و التعددية لمواجهة الهيمنة الأمريكية المتصاعدة، و الحل الناجع و السليم هو إحداث تغير حقيقي في تفكير الطرفين معا، الشمال و الجنوب. حيث يقتضي الموقف السليم اعتراف الشمال بالتنوع الثقافي، كما يتعين على

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الجنوب أن يؤكد استقلاله الثقافي، و لو أن التحرر من الاستعمار الثقافي هو مهمة أجيال عديدة.

أخذت أمريكا تصعد الحرب على أعدائها العالميين الجدد، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي و المنظومة الشيوعية، و قد وقع التعبير عن هذا صراحة

عن طريق أحد المنظرين الأمريكيين و هو اليهودي "صمويل هنتغتون SAMUEL HUNTINGTON " ، في مؤلفاته الإيديولوجية و خاصة كتابه الشهير "صدام الحضارات" ، و الذي يعني به على الخصوص، ضرورة إعلان أمريكا الحرب على الإسلام لإرساء قواعد النظام العالمي الجديد، وحسم الأمر نهائيا لصالح العولمة التي هي في حقيقتها أمركة. و أصبح الغرب بهذا مشغولا بخطر الإسلام، توهما أو تصنعا، و قد وضع مصطلحا لإخفاء حقيقة الحرب على الإسلام، هو "الإرهاب"، و أدخل المقاومة المشروعة للبلدان المحتلة ضمن هذا المصطلح الزائف، في أغلب الأحوال،

و به يتهم الدول التي لا تخضع لهيمنته ، تمهيدا لتبرير تصرفاته العدوانية ضدها، و أحيانا يدعو الإرهاب بنسبته إلى الإسلام صراحة، فيقول الإرهاب الإسلامي أو الأصولية، و صارت صورة العالم الإسلامي في الغرب لا ترمز إلا إلى هذا المعنى، في حين أن أغلب بلاد الإسلام ترزح تحت نير نظم استبدادية ظالمة يؤيدها الغرب و يدعمها، في الوقت الذي يزعم فيه مناصرة الديمقراطية، و نشرها بكل الوسائل في مختلف بلدان العالم. إن التحرر من الاستعمار لا يكون إلا عندما تعتمد النخب الثقافية

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

في العالم الثالث و في الغرب معا، بصورة جدية، أطروحة كون التحديث لا يعني التغريب، و أن هناك طرق غير غربية للتحديث. لقد اتسمت الحضارة الحديثة خاصة بالتحول من ثقافة الإنتاج إلى ثقافة المعلومات و المعرفة العلمية،وهو أمر ناتج عن الطفرات الجذرية في العلم و التكنولوجيا، و بسبب التفوق العلمي الهائل للغرب، زادت فجوة المعلومات و المعارف بينه و بين العالم الثالث اتساعا مهولا. و على سبيل المثال، فإن الولايات المتحدة تملك 56% من مجموع المعلومات و المعارف العلمية في العالم، و يملك الاتحاد الأوروبي 28% منها، و يملك اليابان 12% منها، بينما لا يزيد رصيد بقية العالم كله منها على1% . إن بعض الاستراتيجيين الأمريكيين يحلمون بتولي بلادهم قيادة شبكة المعلوماتية و الاتصال و الثروة الأسطورية الناتجة عن الثورة الفكرية للتعلم و المعرفة . و يريدون تشييد إمبراطورية العصر الإلكتروني الجديد ، و يتطلعون إلى غزو الفضاء لكون الكوكب الأرضي ضاق عن طموحاتهم الجامحة.و مع هجرة العقول من العالم الثالث،والخبراء من الاتحاد السوفيتي المنهار ، امتلكت الولايات المتحدة إمكانات تكنولوجية هائلة، و بدأ عصر العولمة الأمريكية التي راحت تشـــجع هجرة الخـــبرات و المهارات إليها،

و تضع القيود الثقيلة على هجرة العمال البسطاء. كل هذا أدى إلى غياب الحوار الثقافي الجاد بين الشمال و الجنوب، كما أدى غياب الاتصال والتسامح الثقافي إلى تعريض السلام العالمي للخطر. إن شعوب الغرب تكاد تجهل كل شيء عن واقع العالم الثالث، بفعل التعتيم الإعلامي الذي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تمارسه دولها، وتجاهل إعلامها المتطور للمشاكل الحقيقية التي تعاني منها بلدان الجنوب، والتي من بينها النزيف الخطير للعقول و للعمال المهرة، في هجرة جماعية مستمرة نحو الشمال، ليس للأسباب المالية وحدها، وإنما كذلك لأن بلدان الشمال التي تستقبلهم، توفر لهم فرصا أفضل للحصول على تعليم أرفع في مهنهم، و فرصا أكبر للتقدم عامة. إن أوطانـــهم تعلمهم وتكونهم، حتى إذا ما بلغوا درجة الخبرة والمهارة، أخذتهم بلدان الغرب جاهزين، بدون مقابل أو بصورة مجانية. وهنا يكمن جوهر التخلف، إنه عدم القدرة على إبداع و استخدام الموارد المهنية الماهرة ببراعة و عقلانية.

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

اســتــنــتــاج

1- تبين لنا من الملاحظات السابقة أن تعريف العولمةلم يتحدد بدقة لحد الآن، و كل ما هناك محاولات مختلفة للتعريف، تذهب مذاهب شتى، تبعا للإيديولوجيات والثقافات والحضـــارات والمصـــالح المختلفـــة، وبحســـب الصراعات الدائرة في العالم، من أجل تشكيل نظام عـــالمي جديـــد، بعـــد انهيار ذلك النظام الذي كان قائما على توازن الرعب و الحرب البـــاردة، بين الشرق بزعامة الإتحاد السوفيتي، و الغرب بزعامة أمريكا. و لهـــذا، فإن التعريف لم يتحدد، لأن الوضع لم يستقر حتى الساعة، و لم يحصـــل اتفاق على نظام عالمي جديد،و لم يقع الاستسلام لأمريكا كقطـــب وحيـــد يتزعم العالم و يحكمه، كما تسعى إلى ذلك بكل ما تملك.

2- ظاهرة العولمة معقدة و شاملة لكل جوانب الحياة البشرية، لكنها أساسا ظاهرة اقتصادية بالدرجة الأولى و سياسية بالدرجة الثانية.

3- هناك من يذهب إلى أن العولمة ليست جديدة في التـــاريخ، فقـــد عرفها الإنسان منذ قديم الزمان، عندما سعت الحضـــارات القديمـــة إلـــى الخروج عن حدود بلدانها إلى الانتشار في بلدان أخرى،بغيـــة التبـــادل،أو الاستغلال والهيمنة، و غير ذلك من الأغراض. و قـــد قـــام بمثـــل هـــذا الانتشار الكثير من أهل الحضارات القديمة، مثل الفراعـــنة و الفينـــيقيون و الفرس و الرومان

وغيرهم.ثم كانت الفتوحات الإسلامية، و في العهود الحديثـــة، و بســـبب انطلاق النهضة العلمية و الصناعية في أوروبا خاصة، تطورت الحروب

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الصليبية إلى غزو و احتلال استعماري لمعظم بلدان العالم و منها أمريكا ذاتها.

4- العولمة التي تشغل العالم الآن، ظهرت كنتيجة لانهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته الاشتراكية في مطلع التسعينات من القرن الماضي، وبقاء الولايات المتحدة قطبا وحيدا سرعان ما أعلن انتصاره و إرادته في السيطرة التامة على العالم.

5- من أسباب نشأة العولمة الحالية أيضا، التطور الهائل في العلم والتكنولوجيا و ظهور الثورة المعلوماتية، و وسائل التواصل والاتصال، والأسلحة المتطورة.

6- و من الأسباب كذلك في ظهور العولمة ، ظهور الشركات المتعددة
الجنسية، و الأمريكية أساسا، ذات السيطرة العالمية على الاقتصاد إنتاجا و استهلاكا و توزيعا.

7- ومن بين أسباب نشأة العولمة كذلك إيجاد المؤسسات المالية العالمية المتحكمة في النشاط المالي قاطبة، والمتمثلة في البنك العالمي، والبنك الدولي الأمريكيين أساسا.

8- و من المؤسسات التي ظهرت في هذا السياق كذلك، المنظمة العالمية للتجارة التي تسيطر على السوق العالمي، الذي تريده واحدا و تابعا لها وحدها، و هي أمريكية أساسا أيضا.

9- نشأة منظمات المجتمع المدني غير الحكومية، مثل منظمة العفو الدولية التي تهتم بحقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم، أو تدعي ذلك، و

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

هي منظمة تتجاوز سلطة جميع الدول، مثلها مثل المنظمات العالمية الأخرى في مجالات السياسة و الاقتصاد و التجارة و الثقافة، و هي أدوات من بين أدوات العولمة الأمريكية أساسا.

10- هدف العولمة اقتصادي بالدرجة الأولى، حيث أن المتحكم فيها في

الدول، و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، هي المنظمة العالمية للتجارة، و الشركات المتعددة الجنسية أساسا، و المؤسسات المالية العالمية من بنك عالمي و بنك دولي.

11- من أجل توحيد السوق العالمي و السيطرة عليه عن طريق اقتصاد السوق كما سموه، أنشئت المنظمة العالمية للتجارة التي تفرض إزالة الحواجز الجمركية و إلغاء الرسوم الجمركية، من أجل دخول منتوج الشركات النعددة

الجنسية، و تدفق سلعها إلى مختلف بلدان العالم بكل حرية.

12- ثم إن المؤسسات المالية العالمية، و هي مدعمة و منافسة في ذات الوقت للشركات المتعددة الجنسية داخل العولمة، تتولى مراقبة النشاط المالي لكل الدول في العالم، و تتدخل لفرض توجيهها، و تمنح القروض ذات الفوائد الكبيرة جدا، و تبسط سيطرتها المالية العالمية عن طريق الديون.

13- هذا الواقع التي تريد العولمة فرضه بكل الوسائل على العالم أجمع، جعلها تقرر فرض حرية تنقل الأشخاص و الأموال و الأفكار دون حواجز. غير أنها تراجعت كثيرا عندما بدأ الصراع يحتدم، و أصبحت

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

المصالح الأمريكية الغربية مهددة، فشددت الإجراءات على تنـــقل الأشخاص والأموال، و تحاول حصار الأفكار، ولو أن هذا الميدان صار صعب المراقبة بفعل ثورة المعلوماتية، وتكنولوجيا الاتصال والتواصل و الإعلام. فصار الغرب و أمريكا خاصة يكيلان بمكيالين، رافعين ذريعة الإرهاب، و ليس ما يدعون صحيحا في أغلب الأحيان. و أبرز مثال على ذلك هو تدخلهم إلى درجة منع تنقل المنتوجات و البضائع، عندما يقع تطور إنتاجي في ناحية أخرى من العالم غير غربية ، أو غير أمريكية تحديدا ، كما وقع في الصين و حتى مع حليفة أمريكا و الغرب اليابان. عندما تهدد بعض صناعات دول أخرى مثيلاتها في الولايات المتحدة الأمريكية أو أوروبا الغربية، ففي هذه الحالة يتراجعون كليا عن حرية تنقل المنتوجات، و يقيمون الحواجز الجمركية و غيرها، و يتنكرون لمنظمتهم للتجارة العالمية تماما، و هي سلوكات لا يمكن أن تؤسس الاستقرار العالمي، و إقامة نظام عالمي عادل، يلتزم به الجميع لأنه في مصلحة الجميع.

14- ثورة المعلوماتية و تكنولوجيا الاتصال جعلت العالم قرية صغيرة جدا، فإذا أضفنا إليها التطور الاقتصادي الهائل للغرب عموما، اتضح لنا سبب توحيد السوق، حيث إن سوق العالم الموحد ضرورة لإنتاج الشركات المتعددة الجنسية العملاقة. هذا الإنتاج الذي أصبح يزيد على حاجة هذا السوق العالمي الموحد، و من هنا سعيهم إلى غزو الفضاء، ربما وجدوا أو خلقوا مجالات عديدة لتسويق منتـــوجاتهم و استغلال تطورهم العلمي و التكنولوجي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

15- بعض المقاومات التي أبدتها الشعوب بشراسة أحيانا للعولمة، دفاعا عن خصوصياتها الثقافية و الحضارية و هوياتها خصوصا، و كذلك عن مصالحها المادية، و عن كياناتها السياسية، جعلت العولمة تتعسكر ، أي أن المقاومة مرفوضة و ليس هناك غير الخضوع المطلق، و إلا تعسكرت العولمة لمواجهة الموقف. و هكذا أصبح التدخل العسكري أمرا عاديا، بل هو حق من حقوق أمريكا لحماية أمنها القومي كما تدعي، و مصالح الشركات المتعددة الجنسية أساسا، بل لفتح العالم كله أمام هذه لمصالح، و هذا تحت
ادعاء أن أمريكا حاكمة العالم، و هي الأخرى بمصالحه.

16- التنوع الثقافي ممنوع عند الغرب، لأنه لا يتناسب مع العولمة، لذلك وجب استخدام كل الوسائل، و منها المعلوماتية و وسائل الاتصال والتواصل و الإعلام العملاقة، لتوصيل الثقافة الأمريكية إلى جميع أفراد البشر في العالم في حملة مركزة لمحو خصوصياتهم الثقافية و الحضارية، و سلخهم عن قيمهم و عاداتهم و تقاليدهم، و جعلهم يتبنون شيئا فشيئا النمط السلوكي الاستهلاكي الأمريكي، و هذا ما يطلقون عليه اسم "التنميط" . وهنا تتأجج المقاومة المستميتة للعولمة، بسبب الهويات الخاصة و المعتقدات، و يتحد العالم كله، أو أنه يعمل لبلوغ درجة التكتل والتوحد لمقاومة الأمركة الثقافية، بما في ذالك حلفاء أمريكا من الثالوث الأمريكي الغربي الياباني.

17- كان الاطمئنان سائدا في بداية الأمر، عند ظهور العولمة في العالم الثالث خصوصا، بأن العولمة لن تنجح، وسوف تنتهي سريعا بسبب

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

اصطدامها مع التنوع الثقافي الذي يستحيل أن يتفق على إلغائه الثالوث الأمريكي الغربي الياباني، و ذلك لأن أوروبا واليابان لا يمكن أن تتنازل عن وجودها الخاص المتمثل في هويتها وخصوصياتها الثقافية و الحضارية.

غير أن مفاجأة غير متوقعة حصلت، حيث وافقت النخب السياسية والاقتصادية في أوروبا واليابان على العولمة في جانبها الاقتصادي والسياسي ، وحصرت الخلاف في الجانب الثقافي، حيث يستمر الصراع شرسا و بكل الوسائل. و إذا كانت الشعوب غير معنية بهذا الاتفاق، فإن قيام جبهة عالمية لإسقاط العولمة بشكلها العدواني الاستغلالي الحالي، يبقى أمرا ممكن التحقيق إلى حد بعيد، خاصة إذا كانت المصالح المادية العليا للدول، وحتى النخب الاقتصادية غير الأمريكية، مهددة على المدى البعيد، فالهدف هو الأمركة الصرفة.

18- مهما كانت الملابسات الناجمة عن الوضعية الانتقالية الراهنة، فإن العولمة في جوهرها أمركة،وهي معادية للتنوع الثقافي والحضاري،و للمصالح الاقتصادية لجميع الشعوب، بما فيها الشعوب الغربية ذاتها، لأنها ظاهرة اقتصادية أمريكية أساسا، و لا تخدم مصالح الشعب الأمريكي ذاته، وإنما تقتصر في منافعها إلى حد بعيد على النخبة الاقتصادية والنخبة السياسية الخادمة لها. و من هنا يزداد الأمل في إسقاطها و تحويلها إلى عالمية تقوم على أسس إنسانية و تحترم التنوع الثقافي، و تشجع التنافس الإبداعي الأصيل في مختلف المجالات من أجل مزيد من التقدم والازدهار للإنسانية جمعاء، دون استثناء، أي استثناء من أي نوع

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

كان. فذلك وحده هو الوضع الجدير بإرساء قواعد الاستقرار العالمي في ظل الاطمئنان والعدل والرخاء والديمقراطية الحقيقية في كل المستويات الوطنية والاقليمية وفي العلاقات الدولية.

لقد انتشر الوعي لدى الشعوب عالميا بخطورة العولمة، من كل الجوانب السياسية و الاقتصادية و الثقافية، وأخذت المعارضة لها تتسع و تتعمق،وأخذ منظروها الكبار في أمريكا نفسها ينفضون من حولها، ويتحولون إلى معارضين لها عندما بدأت تخوض حروبا مدمرة، أبانت عن وحشية لم يعرف لها التاريخ مثيلا، و لم يعد يناصر العولمة بشكلها الحالي سوى النخب الاقتصادية ذات الانتفاع المباشر منها، في أمريكا والغرب عموما واليابان، وكذالك النخب السياسية المرتبطة بهذه الدوائر مصلحيا ومصيريا، وكذلك النخب السياسية لمعظم بلدان العالم الثالث التي تخدم مصالح الدوائر الرأسمالية الاستعمارية الأمريكية والغربية ضد مصالح شعوبها وبلدانها بسبب تغريبها، أي انتمائها الثقافي والإيديولوجي للغرب، و بسبب مصالحها السياسية أو استيلائها على الحكم، وبقائها فيه، بتأييد وضمانات أمريكية وغربية. و هؤلاء لا يعول عليهم في مقاومة العولمة المتوحشة و تحويلها إلى عالمية إنسانية لفائدة جميع الشعوب والثقافات المتنوعة.وإنما المعول على الشعوب، كل الشعوب، بمن فيه الشعب الأمريكي ذاته، وحتى على الأنظمة، بعض الأنظمة الواعية المخلصة في بلدان الجنوب، و أنظمة الغرب نفسه التي لا يمكن لها أن تتجاهل مصالح بلدانها وشعوبها الاقتصادية والسياسية، لأن شعوبها لا تسمح لها بذلك، والحال أنها تملك الوسائل الديمقراطية القوية، و تتمتع

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

بالوعي الرفيع الذي يمكنها من حماية مصالحها التي قد تتناقض مع المصلح السياسية لحكوماتها، وهو الأمر الواقع حاليا بالفعل. أما المصالح الثقافية و خصوصيات الهوية والحضارة، فإن هذه النظم الغربية تعارض الآن بالفعل اتجاه الأمركة في العولمة، و تقاومه بكل الوسائل معلنة ضرورة حماية التنوع الثقافي، و هي في ذلك متجهة إلى إرساء قواعد العالمية عوضا من العولمة، عن وعي منها أو عن غير وعي، لأن التنوع الثقافي لا يمكن أن يستقر و يرسخ، دون إنشاء نظام عالمي جديد متين ومكين، ترضى به جميع الأطراف بسبب احترامه لهويات الجميع، و ثقافات وحضارات الجميع، وبسبب عدالته الاقتصادية و ديمقراطيته السياسية على مستوى الأوطان، وفي مجال العلاقات الدولية، فلا تسلط للدول على شعوبها ، ولا هيمنة لدول على دول أخرى. وقبل هذا و ذاك، لا يعقل ولا ينتظر من الشعوب أن تقبل بفتح حدودها دون رقيب،و لا بيوت أسرها و لا عقول أبنائها و أجسامهم، و لا سيادات دولها و دساتيرها و قوانينها لصالح الشركات المتعددة الجنسية، التي فرضت منطقها هذا على النخب الحاكمة في أمريكا و الغرب و العالم بأسره، فصارت أقوى من الدول داخل جميع بلدان العالم بأسره. و من أجل هذا الاكتساح التجاري تدمر الثقافات و الحضارات و يقع تدجين الدول ومنعها من ممارسة السيادة كاملة على بلدانها، ويعطل العمل بدساتيرها وقوانينها، كما يقع تدمير التنوع الثقافي و كل المبادرات التنموية المحلية. والهدف من وراء كل هذا السيل المدمر هو المزيد من الأرباح للشركات المتعددة الجنسية المملوكة أساسا لأفراد قلائل في الولايات المتحدة الأمريكية. إنه

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أمر مرفوض بكل المقاييس، و لا يمكن للإنسانية أن تخضع له مهما كان الثمن و مهما كانت تضحيات إيقافه باهضة. فلا بد من استبداله بالعالمية التي تضمن العيش المشترك في محيط إنساني يتبادل التجارب والخبرات، ويتنافس ضمن التنوع الثقافي والحضاري لفائدة وعي الإنسانية جمعاء وازدهارها و استقرارها.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيقات :

لديك أيها –الدارس– المعارف و المعلومات الوفيرة في الملاحظات السابقة و أيضا في الاستنتاجات، الأمر الذي يمكنك القيام بالتطبيقات بكل فعالية، حيث ستعطى لك 05 جداول، مثلما شاهدت في الأمثلة، و يعطى لك محتوى الخانة الأولى من كل جدول، و المطلوب منك هو البحث عن محتويات الخانات الباقية، حيث تجد بعضها في الملاحظات والاستنتاجات. أما خانة التبرير فاعتمد فيها على قدراتك المنطقية وكفاءاتك المختلفة المكتسبة من الشرح و التحليل والتعليل والبرهنة.

تطبيق 1

الثقافة(التنوع الثقافي)	العولمة	المشكلة	التبرير
اللغة			
الشعر			
الرواية			
المسرح			
السينما			
الرسم			
الأسرة			
الملابس			
المأكولات			
المرأة			

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق 2

الثقافة(التنوع الثقافي)	العولمة	المشكلة	التبرير
التربية في الأسرة			
التنشئة الاجتماعية			
العلاقات الأسرية			
الدين			
الثقافة الدينية			
العقيدة الدينية			
التقاليد الدينية			
الأعياد الدينية			
الحلال			
الحرام			

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق 3

التبرير	المشكلة	العولمة	الثقافة(التنوع الثقافي)
			تقاليد الزواج
			الطلاق و قواعده
			الميراث
			الواجبات الزوجية
			الحقوق الزوجية
			الجوار
			حقوق الجار
			واجبات الجار
			التكافل الاجتماعي
			التضامن الاجتماعي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق 4

الثقافة(التنوع الثقافي)	العولمة	المشكلة	التبرير
الشرف			
الكرم			
الخير			
الشر			
الملكية			
الإيديولوجيا			
الأخلاق			
الإيمان			
الإلحاد			
الإباحية			

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق 5

الثقافة(التنوع الثقافي)	العولمة	المشكلة	التبرير
مفهوم السلم			
أخلاق الحرب و ضوابطها			
النظرة إلى الإنسان			
النظرة إلى الأديان الأخرى			
الانتماء الوطني و التعصب			
الانتماء الثقافي و التعصب			
الانتماء الديني و التعصب			
حوار الثقافات			
حوار الحضارات			
حوار الأديان			

جميع الحقوق محفوظة ©
http://www.onefd.edu.dz

سؤال التقويم الذاتي :

تصميم مقالة : نص السؤال :

هل هناك تعارض بين مفهومي العولمة و العالمية ؟

جواب سؤال التقويم الذاتي

التصميم :

طرح المشكلة : "العولمة" نظام عالمي جديد حل محل النظام السابق الذي كان قائما عل توازن الرعب و الحرب الباردة بين الشرق و الغرب، و هي نظام اقتصادي بالدرجة الأولى و لكنها ذات أبعاد سياسية و ثقافية و حضارية جعلت المواقف تختلف حولها بين مؤيد لها و بين معارض ينادي بضرورة تحويلها إلى "عالمية". فلماذا هذا التعارض؟ و ما الفرق بينهما؟

أوجه التشابه :

- إن العولمة و العالمية نظامان يتجاوزان الحدود الجغرافية للدول .
- العولمة و العالمية تفرضهما طبيعة التطور السياسي و الاقتصادي الذي عرفه العالم بعد زوال علاقات التأزم التي كانت سائدة إبان الحرب الباردة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– يلعب التطور التكنولوجي خاصة تكنولوجيا الإعلام و الاتصال دورا أساسيا و بارزا في قيام العولمة أو العالمية.

أوجه الاختلاف :

العولمة	العالمية
– تقوم على هيمنة ثقافة واحدة و هي الثقافية الغربية خاصة الأمريكية منها. – ترتكز على النفع المادي و الاحتكار و الصراع. – الأولوية للقيم الاستهلاكية – تهمش سيادة الدول و تقلصها و تخضعها لهيمنة الغرب. إلخ....	– تقوم على تعدد الهويات و تفاعلها مع احترام الخصوصيات الثقافية للمجتمعات. – ترتكز على التعاون الدولي و الحوار و التنافس النزيه. – الأولوية القيم الإنسانية. – تحترم سيادة جميع الدول. إلخ ...

أوجه الاتفاق: غير أن هذه الاختلافات الجوهرية بين الطرفين ، لا تمنع اتفاق العولمة و العالمية في كون الدول و المجتمعات في ظلهما تجد نفسها مضطرة إلى التفتح على العالم الخارجي و تجاوز التقوقع على الذات و ضرورة الاستفادة من الخبرة العلمية و التكنولوجية الأجنبية.

الاستنتاج : إذا كانت العولمة تعبر عن نظام كائن و قائم ، فإن العالمية تعبر عن نظام ينبغي أن يكون ، إن العالمية تعبر قيم إنسانية و أخلاقية يجب أن تسود المجتمع الدولي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تدرب أيها الدارس

الموضوع – تصميم مقالة :

هل يمكن إحلال نظام عالمي عادل في ظل تناقض مصالح الدول؟

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©